

الذوف
مءمء شرف

الخوف

تأليف
محمد شريف

رقم الإيداع: ١٦٤٣٣ / ٢٠٢٠

ISBN: 978-977-90-77-26-0

جميع الحقوق محفوظة للناشر
يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب؛ بأيّة وسيلة تصويريّة،
أو الكترونيّة، أو ميكانيكيّة؛ بما فيه التسجيل الفوتوغرافي، والتسجيل
على أشرطة، أو أقراص مقروءة، أو أيّة وسيلة نشر أخرى؛ بما فيها
حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطّي من الناشر.

الخوف

تأليف
محمد شريف

القاهرة ٢٠٢٠

الطريق

اعتدت ولمدة ثلاثة أشهر تقريبًا أن أعود إلى المنزل، بعد انتهاء اليوم الدراسي، برفقة صديقي حسام عبد اللطيف، وبعدها أرادت أمي أن تُحملني جزءًا من المسؤولية مع بداية العام الثاني لي في المدرسة الابتدائية الواقعة بشارع الأهرام.

لم يكن المنزل بعيدًا عن المدرسة كثيرًا... كُنَّا نعبر شارع الأهرام ونسلك أحد الشوارع المؤدية لشارع الملك فيصل الرئيسي، الموازي لشارع الأهرام، ومنه إلى المنزل الواقع في شارع فرعي صغير، إلا أن هذا اليوم كان مختلفًا كثيرًا!

بدأ اليوم كغيره من الأيام بعدما خرجت من منزلي في تمام الساعة السابعة إلا ربع صباحًا وتوجهت لمنزل حسام المقابل لمنزلي، وأخذت أنادي عليه من أمام باب منزله المغلق بسلاسل حديدية غليظة.

لم تكن شقة حسام تطل على الشارع، فكان علي أن أنادي بصوت جَهْوَرِيٍّ مرتفع أتخيله وهو يصل إليه في الدور الرابع بعد أن سعد - الصوت - سلاّم المنزل المتهالكة وطرق باب شقته، إلا أن ذلك لم يحدث على الإطلاق، فقد اعتدت واعتاد إيهاب حلمي - صديق أخي الأكبر - الذي يقطن بالطابق الأرضي

بنفس المنزل أن يستيقظ على صوتي المزعج، ويفتح لي الباب بعينين نصف مغمضتين وهو يمنع نفسه من إطلاق الشتائم نحوي احترامًا وتقديرًا لأخي.

فتح لي إيهاب باب المنزل فصعدت إلى الطابق الرابع، وطرقت باب الشقة لأجد حسام هو الآخر يفتح لي بعينين نصف مغمضتين؛ فانتظرته أمام باب شقته نحو ثلث الساعة ليخرج لي وهو يرتدي باقي ملابسه على سلم المنزل، ويتناول سندوتش الجبن الرومي الذي لم يكن يفارقه في طريقنا إلى المدرسة.

وصلنا إلى شارع فيصل الرئيسي لنجده شبه خالٍ من التلاميذ؛ فأدركنا أننا تأخرنا على موعد طابور الصباح؛ فطلبت من حسام أن يسرع في خطواته حتى لا تتأخر على الحصة الأولى.

قررنا في ذلك اليوم، ولسبب غير معلوم، أن نسلك شارعًا جانبيًا آخر - في طريقنا من شارع فيصل إلى شارع الأهرام- غير الذي اعتدنا عليه، وفي منتصف الشارع الجديد لاحظنا وجود تلال صغيرة من الرمال، و"شكائر" أسمنت وجبس مرصوصة بعناية، وعرفنا بسهولة أنها خاصة بعمارة جديدة تحت الإنشاء.

في البداية أغرتنا تلال الرمال للعب عليها، فاستسلمنا ولعبنا نحو عشر دقائق قبل أن نشعر بالملل ونقرر خوض تجربة جديدة.

نظرنا إلى قطعة الأرض المنخفضة عما حولها والتي أعجبتنا شكلها المميز بالحديد المتقاطع أفقيًا ورأسيًا مكونًا ما يعرف باسم "الحصيرة"، والتي توضع بعد الحفر كجزء من أساس العمارة، ونظرت إلى صديقي ونظر إليّ قبل أن نقرر العبور من فوق الحصيرة الحديدية من الشارع الجانبي الجديد إلى شارع جانبي آخر.

في البداية لاحظت تخوفه فقررت أن أبادر بالنزول إلى الحصيرة، وأخذ بعض الخطوات عليها حتى يتشجع ويتبعني.. وعندما وصلت إلى منتصفها تقريبًا التفت للخلف ونظرت إليه وصحت بصوت مرتفع:

- يلا.. هتفضل واقف كده؟!

نظر إليّ وإلى الحصيرة بتردد ثم قاوم خوفه ونزل وأخذ بضعة خطوات قبل أن تتعثر إحدى قدميه ويسقط على الحصيرة

ويُسقط قلبي معه، وأنا أقف في مكاني أحاول التغلب على
ارتباكي وأشجعه على النهوض:

- قوم.. قوم ما تخافش.

لم يجد أمامه إلا أن يحاول النهوض، وعندما نجح لم أجد أمامي
إلا أن أشجعه على مواصلة التقدم:

- يلا ما تخافش.

وجدت أن الكلمات وحدها غير كافية لتشجيعه فتابعت سيرتي
على الحصيرة بتركيز شديد حتى لا أسقط مثله.. ونجحت في
الوصول إلى نهايتها والصعود للشارع الآخر.

صعدت والتفت نحوه لأجده تصيب عرقًا -رغم برودة الجو-
فخفق قلبي أكثر وأنا أشعر بتوتره وأشاهد حيرته وتعثره:

- ما تخافش.

لم أجد ما أقوله غير ذلك، ولم يجد ما يفعله غير أن يستمر في
مواصلة سيره وقد تحول توتره وقلقه إلى خوف حقيقي ظهر
بوضوح على ملامحه التي انعكست على ملامحي وأنا أهزل
ناحية شابين يسيران في الشارع لأطلب منهما المساعدة:

- والنبي يا عمو والنبي الحقني.

التفت لي الشابان قبل أن يرد عليّ أحدهما:

- مالك يلا؟

- أخويا وقع في الحفرة اللي هناك دي ومش عارف يطلع.

ظهر الجزع على وجههما وهما يتبعاني إلى "الحفرة" وما أن
وصلنا إليها حتى صاح الشاب الآخر:

- يخرب بيتك.. انت ايه اللي نزلت هنا؟

كدت أبكي توسلاً للشابين بعدما شعرت أنهما قد يتخليا عن
مساعدتنا عقابًا لنا على استهتارنا:

- والنبي يا عمو والنبي طلعه، ومش هنعمل كده تاني، معلش
والنبي، معلش.

لم يردا عليّ وتحرك أحدهما ونزل إلى الحصيرة بخفة حسدته
عليها وفي أقل من دقيقتين كان قد وصل إلى حسام وحمله
على كتفه، ومعه حقيبته، وأخذ نفسًا عميقًا قبل أن يبدأ رحلة

العودة ليسلم حسام بحقييته إلى صديقه الذي ساعده على الصعود من "الحفرة".

لم أكن أصدق أن حسام نجا من هذا المأزق اللعين، ولم أجد كلمات مناسبة أشكر بها الشاب البطل الذي أنقذه، فوضعت يدي في جيبتي قبل أن أمدّها له بمصروفي الضئيل:

- شكرًا يا عمو والله.

- ايه ده؟

- ده ربع جنيه.. مش معايا غيره والله.

- انت عبيط يلا!! يلا خذ أخوك والحقوا المدرسة زمانكوا اتأخرتوا.

سعدت كثيرًا بشهامته التي حافظت لي على مصروفي، وأخذت حسام وأسرعنا إلى المدرسة التي وصلنا إليها في منتصف الحصة الأولى لتعاقبنا مدرسة الفصل عقابًا كنا نعرف أننا نستحقه.

مرت الثلاث حصص الأولى بشكل طبيعي قبل أن نخرج إلى "الفُسحة" فوجدتها فرصة مناسبة لأحكي لزملائنا عن مغامرتنا

الصباحية، والتي أضحكتهم كثيرًا، وجعلت حسام مادة للسخرية لنحو 15 دقيقة قبل أن نعود إلى الفصل.

سخر الزملاء من حسام الذي لم يجد كلمات مناسبة يبرر بها خيبته، تلك الخيبة التي كادت تحول المغامرة إلى كارثة؛ فضحك معنا ليخفي مشاعره الحقيقية تجاهي.

انتهى اليوم الدراسي وخرجت مع حسام من باب المدرسة، وعندما سألته عن سبب صمته منذ انتهاء "الفسحة" توقف فجأة ونظر لي نظرات لم أفهم معناها، وقال بهدوء:

- أنا مش هروح معاك النهارده.

نظرت له بدهشة وأنا لا أستوعب ما يقوله:

- ازاي؟

- أصل أنا رايح عند خالتي... روح انت لوحذك.

أذهلني كلامه؛ فحاولت أن أتمالك أعصابي:

- أروح لوحدي ازاي؟!

- عادي.. انت مش عارف الطريق؟!

وقبل أن أرد انصرف من أمامي، وعبر شارع الأهرام مسرعًا وأنا واقف أنظر إليه بذهول، وأحاول أن أقنع نفسي بأنه يمزح معي مزاحًا ثقيلًا وسيعود إليّ، وقلت في نفسي: "هو يضحك وسيرافقني إلى المنزل كما تعودنا" ... ولكنه لم يفعل.

تابع حسام سيره، دون أن يلتفت للخلف، ودخل في شارع جانبي.. واختفى. وتركني أنظر حيث اختفى في انتظار أن يعود مرة أخرى وهو يضحك... ولكنه لم يعد.

وجدت نفسي أقف أمام باب المدرسة وحيدًا مجبرًا على الذهاب إلى المنزل بمفردي لأول مرة بعدما تخلت أمي عني باتفاق مسبق، وتخلي عني حسام بدون اتفاق.

دارت الدنيا من حولي وأنا لا أجد من أستغيث به، فاستسلمت لفكرة الضياع وأنا متأكد من أنني لن أستطيع الوصول إلى المنزل بمفردي... ورغم ذلك عبرت شارع الأهرام وأنا ارتجف ودخلت في أحد شوارعه الجانبية، ومن شدة الخوف انطلقت مسرعًا في طريقي المعتاد وأنا لا أشعر بالدموع التي تسيل على وجهي، حتى فوجئت بأخي الأكبر -قادمًا من الاتجاه المقابل- جزعًا وهو يرى دموعي:

- مالك؟ في ايه؟

- نُهت.

- نُهت ازاي؟

- حسام سابني ومشي... بيقول رايح لخالته، وسابني.

- وبعدين؟

- مش هعرف أروّح.. كنت هتوه ومش هتلاقوني.

كنت أتحدث دون أن أتوقف عن البكاء، فأمسك أخي بيدي
واحتضنني:

- ما تخافش.

وربت على كتفي محاولاً طمأنتي قبل أن يمسك يدي ويسير
معي:

- احنا هنروح أهو.

هدأت قليلاً وسألته:

- انت كنت رايح فين؟

- كنت جاي لك... لما اتأخرت ماما قالت لي أروح أشوفك
اتأخرت ليه؟.. هو انت كنت بتجري كده ورايح على فين؟
- مش عارف.

أشار إلى نهاية الشارع قائلاً:

- مش عارف ازاي؟.. انت كده كنت مروح.
واستطرد:

- مش البيت من هنا؟! لما تخلص الشارع ده كنت هتلاقي
نفسك في شارع فيصل.
- أه.

- انت لو وصلت شارع فيصل ماكنتش هتعرف تروح لحد
البيت؟

صمّت وأنا في حيرة من أمري، فتابع:

- انت كده كنت مروح من الطريق اللي بتمشي فيه كل يوم.
- أه.

تابعنا سيرنا وأنا متشبث بيده حتى وصلنا إلى شارع فيصل
الرئيسي، وكنت قد هدأت وجفت دموعي، فقال لي:

- ده شارع ايه؟

- فيصل.

- المفروض هنمشي ازاي عشان نروح؟

- هنعدي الشارع ونمشي كده شمال لحد المطعم، وبعد كده
نروح عادي.

- طيب ما انت عارف الطريق أهو... يعني لو أنا ماكنتش جيت
لك كنت هتعرف تروح عادي.

- أه بس...

قاطعني بهدوء:

- بس انت كنت خايف.

تمت

استرونج اندبندنت

أشعر اليوم بغضب شديد بسبب مشاجرة سخيفة وقعت داخل "الميكروباص" وأنا في طريقي للعمل، عندما طلبت فتاة عشرينية من شاب ثلاثيني أن يترك مقعده وينتقل إلى مقعد آخر لكي تتمكن من الجلوس بجانب صديقتها، فما كان من الشاب إلا أن فتح على نفسه أبواب الجحيم عندما رفض طلبها قائلاً بهدوء:

- لاء، معلش مش بحب أقعد ورا.

فوجئت الفتاة المتأنقة المغطى وجهها بمساحيق التجميل بما يقوله الشاب، وأخذت تسأل نفسها عدة أسئلة استنكارية:

- ازاي الحيوان ده يرفض طلبي؟! هو الماكياج اللي أنا حاطاه ده كله مش عامل معاه أي حاجة؟! طب البنطلون الضيق ده؟! هو عايز يتفرج ببلاش ولا إيه؟! هو إنسان معقد؟! ده أكيد إنسان رجعي متخلف! ويمكن يكون ذكوري متعفن! أو...

واستفاقت من أفكارها الشيطانية بشأن الشاب البسيط، وقالت له بانفعال:

- يعني أنا بطلب منك بالذوق وانت مافيش أي حاجة خالص!!

نظر لها الشاب بدهشة وقال:

- حاجة ايه حضرتك؟! بقول لك مش بحب أقعد ورا، أنا طويل والكنبة اللي ورا ضيقة، وبتكلم بالذوق برضه ما غلطتش فيكي.

تدخل شاب جالس في الخلف وقال باستنكار:

- وايه يعني لما تقوم لها يا أخي؟

التفت له الشاب الطويل وقال بنفس الهدوء:

- لو سمحت خليك في حالك.

تدخل رجل خمسيني وقال للشاب:

- انت ما حدش عاجبك ولا ايه؟! ايه قلة الذوق دي؟!

التفت سائق الميكروباص للخلف وهو ينفخ بضيق:

- ما تخلصونا يا جدعان عايزين تتحرك.

رد عليه الشاب الجالس في الخلف:

- ما هو اللي معطلنا يا أسطى.. إنسان قليل الذوق صحيح!

نظر له الشاب بحنق ورد عليه وهو يحاول أن يسيطر على
غضبه:

- لو سمحت ما تغلطش، لو هي مصممة تقعد جنب صاحبها
ممکن يستنوا العربية اللي بعدها و...

قاطعہ الرجل الخمسيني:

- يا أخي ما تنزل انت وتاخذ العربية اللي بعدها، انت
ما عندكش إخوات بنات؟! بدمتك لو ليك أخت بنت تقبل عليها
تنزل في الظروف دي؟!!

نظر له الشاب بدهشة:

- ظروف ايه حضرتك؟ الساعة 9 ونص الصبح والجو لا هو برد
ولا هو حر، وما فيش أي حاجة غير طبيعية.

- ده انت اللي مش طبيعي يا أخي، نزله يا أسطى عايزين
نشوف مصالحننا.

ولم يستطع الشاب الدفاع عن نفسه أمام الاتهامات التي
انهالت عليه فاضطر إلى النزول من الميكروباص، وجلست فتاة

مساحيق التجميل بجانب صديقتها دون أدنى شعور بتأنيب الضمير.

كنت قد فكرت للحظات أن أتدخل لصالح الشاب ولكن خانتني شجاعتي؛ فوضعت رأسي في الكتاب الذي بيدي بعد استسلام الشاب، وحاولت أن أنفصل عن الواقع حتى وصلت إلى عملي، ومازالت أحداث المشاجرة تتصارع بداخل رأسي.

دخلت المكتب وأنا أستشيط غضبًا، ولم أجد ما أفعله سوى كتابة منشور على موقع "فيسبوك" أحقق به انتصارًا وهميًا للشاب حتى وإن خسرت بعض- أو كل - صديقاتي على موقع الواقع الافتراضي.

وكتبت:

لم يعد الأمر مثيرًا لدهشتي عندما أتصفح حساب أنثى على موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك" وأرى أن لها عددًا كبيرًا من المتابعين (followers) رغم أنها ليست من المشاهير، ولا تقدم محتوى ذا قيمة، فقط هي أنثى، أنثى أرادت أن تشعر بأهميتها، وتعوض إحساسها بالنقص من خلال وجود عدد كبير من المتابعين الطامعين -بالطبع- في أنوثتها التي لا تمتلك

غيرها، والطريقة سهلة جدًا ومعروفة، تقبل الفتاة جميع طلبات الصداقة المُرسلة إليها فيصبح لديها عدد كبير جدًا من الأصدقاء المجاملين والمعبرين عن إعجابهم بكل ما تنشره- حتى لو كان مسروقًا من حساب ذكر لم يجد حتى من يبصق في وجهه- وتأتي المرحلة التالية بإتاحة خاصية المتابعة، بعد نشر عدد من الصور الشخصية التي تم التقاطها بهاتف محمول باهظ الثمن مدعمة كاميراته بـ "فلاتر" جاهزة تجعل البشرة صافية والصور براقية.

"إذا نشرت الفتاة صورها عبر مواقع التواصل الاجتماعي فهي سيئة السلوك، وقد تقدم تنازلات" ... هكذا يفكر الذكر المصري، حتى لو تظاهر بعكس ذلك.

عدد لا بأس به من الأصدقاء... عدد أكبر من المتابعين الذين يعبرون عن إعجابهم بكل ما تنشره، ويحبذا لو كانت تنشر لنفسها فيديوهات وهي تثرثر في "الفاضية والمليانة"... فقد أصبح الحساب مؤهلاً تمامًا للتكاثر.

تثرثر الفتاة وتنشر كل ما يدور في خلدتها من حماقات ومسروقات، والذكر المصري "الهائج" يعبر عن إعجابه أمام

الجميع على أمل أن تتيح له "الفريسة" التعبير عن إعجابه بها في غرفة دردشة خاصة.

تستيقظ الفتاة من نومها فتفتح هاتفها وحسابها على "فيسبوك" وتكتب "صباح الخير".. فقط صباح الخير، فينهال عليها وابل من تعليقات قطعان المتابعين من عينة: "صباح الفل يا قمر، صباح الجمال، صباح التفاؤل... الخ من اللاشيء سوى إثبات التواجد"، وقد ينسى أحدهم نفسه ويتعجل الانتقال إلى مرحلة غرفة الدردشة الخاصة بالفتاة ويكتب لها تعليقًا يقول فيه:

"انتي قُلتي كل اللي أنا كنت عايز أقوله".

وبغض النظر عن كونها لم تقل شيئًا... ولكن إذا كنت تريد أن تقول، فما الذي منعك من قوله؟!

سؤال لا يستحق التفكير و... ها هو حسام، زميلي في العمل، قد دخل للتو من باب المكتب وهو يجفف عرقه ويلتقط أنفاسه ويبدو عليه غضب شديد حاول السيطرة عليه وهو يلقي السلام:

- السلام عليكم.

نرد عليه جميعًا:

- وعليكم السلام.

جلس حسام أمام مكتبه وفتح الحاسوب (الكمبيوتر) وهو ينفخ بغضب، ويلتفت حوله باحثًا عما يسأله عن سبب غضبه، فأنقذه معترز - الجالس بجانبه - بسؤال:

- مالك يا أسطى ع الصبح؟

- مخنوق، مش طايق نفسي، أنا بفكر جدًّا أشيل من دماغي موضوع الجواز ده.

ضحكنا جميعًا ونحن نتنظر حكايته الجديدة عن الفتاة التي ذهب إلى بيت أهلها ليتعرف عليها ويرتبط بها على طريقة زواج الصالونات.

حسام يبلغ من العمر ستة وعشرين عامًا، يعمل محررًا صحفيًا ومترجمًا في عدد من المواقع الإلكترونية، من أسرة محافظة ويبحث عن عروس مناسبة، التقى أكثر من فتاة بنفس الطريقة ولم يحظ بأكثر من اللقاء ثم الرفض الذي يأتي في الغالب من جانب الفتاة التي تتخوف من صراحته وشروطه

التي لم تعد شروطًا عادية ومقبولة لدى فتيات باحثات عن حرية مطلقة.

- أنا مش حابب إنك تشتغلي، وبالنسبة لموضوع الخروج أكيد مش هحبسك في البيت.. بس مش هنخرج كثير، في المعقول يعني.

كان حسام يكرر هذه الشروط في كل مرة يجلس فيها مع فتاة وينتهي الأمر برفضه.

سألته سلوى- زميلتنا في الموقع الإلكتروني الذي نعمل به:-

- شوفت عروسة جديدة ولا ايه؟

- وياريتني ما شوفت!

- قلت نفس الشروط برضه؟.. ما قلت لك بلاش.

نهض حسام من مكانه بانفعال:

- بلاش ليه؟ هو أنا بقول حاجة غريبة؟!

واقترب مني:

- يا عم شريف احضرنا والنبى.. الشروط اللي أنا بقولها دي غريبة؟!

قلت له وأنا أمنع نفسي من الضحك:

- بص.. الشروط عادية، وكويس إنك صريح من البداية.. بس انت ممكن تكون بتقول شروطك بطريقة تخوف.

- والله أبدًا، أنا بتناقش عادي، وبفضل أقول لها إني حابب أسمع رأيها، وإنها لو شايفاني غلطان أنا مش هتضايق، احنا ممكن نتناقش ونوصل لحل يرضي جميع الأطراف.

- أومال ليه بتترفض؟!

- مش عارف، بس بتاعة امبارح دي طلعت لي بحوار جديد تمامًا.

- حوار ايه؟

- قال بتقول لي إن ليها شلة من أيام الجامعة ومتعودين كل شهر يتجمعوا كلهم ويخرجوا!

- شلة ايه؟ صاحباتها يعني؟

- ولاد وبنات.

كان من الصعب عليّ أن أرد على ما يقوله بسبب وجود سلوى،
وجهاد، مديرة الموقع، الجالسة بجانبني، والتي مازحته:

- عادي يا حسام، خليك اسمه ايه ده open-minded.

ضحكنا جميعًا وقالت سلوى:

- وانت طبعًا رفضت!

رد حسام:

- أكيد طبعًا... قلت لها ده مش مناسب ليا، وإن أنا ماليش
صاحبات بنات وما أقبلش إن يكون ليكي أصحاب شباب.

وجدت أن المناقشة ستتكرر ففضّلت أن أنهيها وقلت له:

- بص.. انت صح.. وما تتنازلش.. لازم تقول شروطك من الأول
وتتفقوا عشان ما تتعشب بعد كده.

- أنا بقيت حاسس إن شروطي دي مش طبيعية وإني جاي من
كوكب تاني.

ابتسمت وقلت له:

- هما اللي مش طبيعيين.. اتغيروا.. اتسعدوا!

نظرت لي جهاد وهي تضحك، وهمت سلوى بالوقوف للاشتباك معي، فحاول حسام تهدئة الموقف قبل أن يشتعل وقال بصوت مرتفع:

- لأ يا عم مش للدرجة دي.

أردت أن أنهي الحوار وأعود إلى منشور الفيسبوك فقلت له:

- يمكن.

أكملت كتابة المنشور وراجعته جيدًا و.. وحذفته قبل أن أنشره، وقلت لنفسي:

- لن يستفيد الشاب شيئًا من منشوري الذي لن يعود عليّ سوى بخسارة صديقات الفيسبوك اللاتي ألجأ إليهن أحيانًا لتضييع الوقت.

مرت بضعة أيام وأنا أحاول أن أتناسى مشاجرة الميكروباس، وأتعامل بحذر شديد في المواقف المشابهة، فبمجرد أن تطلب

مني فتاة ترك مقعدي لها أتركه على الفور، خصوصًا إذا كانت
ترتدي ملابس ضيقة وتضع مساحيق التجميل.

الجو اليوم شديد البرودة وأشعر بصداع شديد يكاد يفتك
برأسي، يبدو أنني مقبل على "دور برد" شديد، ولكني مضطر
إلى الذهاب للعمل.

ذهبت وسمعت قصة حسام الجديدة عن العروس التي
رفضته؛ ولم يكن لدي جديد أقوله له فكررت نفس النصيحة:

- بص.. انت صح.. وما تتنازلش.. لازم تقول شروطك من الأول
وتتفقوا عشان ما تتعشب بعد كده.

اشتد عليّ الإعياء فغادرت العمل مبكرًا عن مواعدي بنحو
ساعتين، وقبل أن يداهمني الليل ببرودته الشديدة، وبقي
حسام حتى الساعة وليته ما بقي.

بجانب برودة الجو الشديدة كانت هناك مباراة القمة بين فريقتي
الأهلي والزمالك في الساعة الثامنة، وهو ما يعني أزمة في

المواصلات بداية من السابعة وحتى العاشرة وربما قبل وبعد ذلك.

وصلت إلى المنزل في السادسة والنصف تقريبًا وتناولت وجبة خفيفة وبعدها دواءً للبرد بدون استشارة الطبيب، وخلدت إلى النوم واستيقظت في حوالي الحادية عشرة والنصف وأنا أشعر بتحسُن.

فتحت موقع فيسبوك وأخذت أتصفح بعض المنشورات السخيفة عن المباراة التي فاز فيها الزمالك - على غير العادة - حتى فوجئت بمنشور غير متوقع من حسام.

كتب حسام عن تجربته الأليمة في ركوب الميكروباص من الموقف في يوم شديد البرودة لم ينقصه سوى مباراة القمة، وكيف أن الفتيات والسيدات تعدين على حقه في أخذ دوره بعدما انتظر أكثر من ساعة ونصف الساعة حتى يأتي الميكروباص.

كان نظام الموقف المتعارف عليه أن يقف الذكور في طابور والإناث في طابور آخر، وعندما يأتي الميكروباص يركب سبعة ذكور وسبع إناث.

وجاء الميكروباص بعد طول انتظار ففوجئ حسام، وغيره من الذكور، بالإناث يندفعن إلى الميكروباص الذي امتلأ على الفور بعشر إناث، وأربعة ذكور لم يكن حسام من بينهم، فاضطر إلى الانتظار نحو ساعة أخرى في البرد القارس وهو يلعن ويسب كل ما هو مؤنث.

وصل حسام إلى منزله في حوالي الساعة الحادية عشر وهو يرتجف من الغضب قبل البرد، ولم يجد أمامه سوى العالم الافتراضي ليفرغ فيه شحنة الغضب.

كتب المنشور الذي هاجم فيه نوعية معينة من الفتيات بعدما حكى ما حدث معه، واتهمهن بـ "النطاعة" وقلة الذوق والافتراء وغيرها من الأوصاف اللائقة، مع التأكيد على أنه لا يقصد الجميع.

عبّرت بالطبع عن إعجابي بالمنشور وفصّلت أن يكون آخر ما أقرأه في يومي، فأغلقت الهاتف وعُدت إلى النوم حتى استيقظت في السادسة صباحًا.

ومثلما أنهيت يوم أمس بمنشور حسام الشجاع أردت أن أبدأ يومي الجديد به، ففتحت الفيسبوك ودخلت على حساب

حسام ولم أجد المنشور، أغلقت الهاتف وفتحته مرة أخرى
وبحثت كثيرًا عن المنشور ولم أجده.

فكرت في مراسلة حسام للاستفسار عن سبب عدم وجود
المنشور ولكنني فضّلت الانتظار حتى أراه في العمل، وبمجرد أن
وصلت توقفت بجانبه وأنا أسدد نظراتي إليه وهو يتحاشاني.

وعندما لم أتزحزح من مكاني ومع استمراره في تسديد
النظرات إليه، لم يجد مفرًا من النظر إليّ قبل أن يأخذ نفسًا
عميقًا ويقول لي:

- لو سُفّت كم الهجوم اللي أنا اتعرضت له، انت نفسك كنت
هتقول لي امسح البوست.

- عادي كنت ترد عليهم وتديهم بالجزمة.

ابتسم بمرارة وقال لي:

- جزمة ايه!! الموضوع كان هيوصل لقطع العيش.

- جهاد كلمتك ولا ايه؟

- لأيا عم جهاد مين!! جهاد دخلت تهزر في الكومنتات عادي..
بس عندي مديرة تانية خدت الموضوع على قلبها.

- قالت لك ايه؟

- ما قالتش حاجة.. بس في حد وَّصل لي إنها مش عاجبها
البوست، وأنا بصراحة خُفت.. ولازم أخاف... احنا مش قدهم.

تمت

انترفيو

"هنبقى نتصل ببيك"...

سمعت هذه العبارة كثيرًا... بعدد المقابلات الشخصية التي خضعت لها وأنا أبحث عن وظيفة أبدأ بها حياتي العملية بعد تخرجي في كلية التجارة، والفارق بين أول مرة أسمع فيها هذه العبارة وآخر مرة سمعتها فارق كبير جدًا.

أول مرة - والمرات التي تلتها - كنت أصدق أنهم سيتصلون بي وإلا فلماذا قالوا إنهم سيتصلون؟!.. وبعد أن انتظرت كثيرًا ولم يتصل أحد، فهمت أنها طريقة مناسبة للرفض.

في البداية كنت أعتقد أن المقابلة الشخصية يكون هدفها الأول والأوحد هو التعرف على مدى قدرة المتقدم على أداء مهام الوظيفة، ولم أكن أعلم أنها اختبارًا للقدرات الشخصية قبل أي شيء آخر، فالقدرة على أداء مهام العمل المطلوبة من السهل اكتسابها بالممارسة، ولا يوجد مانع من حدوث بعض أو كثير من الأخطاء طالما كانت لدى الموظف القدرة على التعامل معها.

عرفت ذلك بعد أكثر من عامين قضيتهم في البحث عن وظيفة بالطرق التقليدية في الإعلانات المبوبة بجريدة الأهرام (عدد يوم

الجمعة) وجريدة الوسيط المجانية التي كنت أشتريها بثلاثة جنيهاً.

- "لازم واسطة" ..

هذا ما أكده لي شاب ضائع مثلي فور انتهائي من مقابلة جديدة، فما كان مني إلا أن تجاهلته وأكملت في طريق البحث حتى تم قبولي في وظيفة بائع و typist في مكتبة صغيرة براتب 550 جنيهاً و11 ساعة عمل يوميًا كانت تمر علي بإيقاع ضفدعة تتضور جوعًا.

في البداية كنت في غاية السعادة لمجرد قبولي في الوظيفة فأقبلت عليها بحماس شديد انطفأ بعد أقل من أسبوع عندما بدأ اليأس يفتك بي، وكنت مطالبًا أمام نفسي بالإجابة على سؤال لم يكن يفارقني:

- طب وبعدين؟!!

أكثر من ثلاثة أسابيع وأنا أبحث بجدية عن إجابة لهذا السؤال اللعين، وعندما فشلت قررت - غير آسف - ترك العمل والعودة إلى حياة العاطلين وانتظار المصروف الشهري الضئيل.

مرت شهور وأنا أنتظر حدوث معجزة تنتشلني من حياة العاطلين والمصروف الشهري التافه الذي أجبرني على البقاء في البيت لأطول فترة ممكنة، ويبدو أن أخي الأكبر شعر بالحزن على حالي فقرر مساعدتي عن طريق أحد أصدقاءه الذي يعمل في شركة كبيرة تقدم خدمة الإنترنت:

- أحمد مصطفى هيتصل بيك بكره أو بعده عشان هيشوف لك شغل معاه.

- فين؟

- في الشركة اللي هو شغال فيها.

- هشتغل ايه؟

- أي حاجة، مش مهم، المهم تشتغل، هو هيحاول يظبط لك شغلانة كويسة.

اتصل بي أحمد مصطفى بعد يومين:

- سحس الصغنن.. عامل ايه؟

- الحمد لله.

- أحمد قال لك ع الشغل؟

- أه بس ما فهمتش قوي.

- مش مهم، المهم تيجي لي بكره الساعة 10 ونص ف الشركة وتكون حالق دقنك ولابس بدلة.

- هشتغل يعني؟

- بعد ما تعدي الانترفيو _ إن شاء الله _.

- طب هي شغلانة ايه؟

- لما تيجي هقول لك، المهم ما تتأخرش.

وصلت الشركة في تمام العاشرة وانتظرت أحمد مصطفى حتى الحادية عشرة وأنا أحاول أن أخمن نوع الوظيفة وأشعر بالقلق من المقابلة الشخصية، وعندما وصل اصطحبني إلى مكتبه وأجلسني وقال لي وهو يشرب النسكافيه:

- مالك يا سحس؟

- الساعة 11 وعشرة دلوقت، مش المقابلة 10 ونص؟

- لأ المقابلة لسه 12، بس أنا جييتك بدري عشان أفهمك
تعمل ايه.

- أه، تمام.

- بص يا سيدي، انت هتشتغل في ال sales يعني هتبيع خطوط
DSL، أنا كنت شغال نفس الشغلانة دي أول ما اشتغلت هنا،
بعد كده رocht قسم التسويق.

قلت له بارتباك:

- بس أنا ماليش في موضوع ال sales ده.. مابعرفش أبيع حاجة.

- مافيش حاجة اسمها ماليش، المهم تتقبل وبعد كده هتلاقي
الدنيا ماشية معاك عادي وهتتعلم، المهم تعدي الانترفيو.

قلت له وأنا غير مقتنع:

- ماشي.

- بص.. أهم حاجة ما تخافش.. انت عامل ايه في الإنجليزي؟

- كويس، معقول يعني.

- تمام، عايزك في الانترفيو تبين انك لسه راجع من أمريكا أول
امبارح في طيارة الساعة 11 ونص إلا خمسة.

ضحكت رغماً عني وقلت:

- أعمل ايه يعني؟

- وانت بتتكلم حط أي كلمة انجليزي في نص الكلام كده، يعني
مثلاً ما تقولش مبيعات، قول sales، ما تقولش دعم فني، قول
technical support وكده يعني.

- هو الانترفيو بالعربي ولا انجليزي؟

- بالعربي، بس ممكن في النص كده تلاقي البت بتاعة الإتش آر
ظرفتك سؤال بالانجليزي، أوعى ترتبك، حتى لو ما فهمتش
السؤال قول أي إجابة وخلص وحاول تتّوه في الكلام.

لم تكن نصيحة العودة من أمريكا هي الوحيدة، فقد ظل أحمد
مصطفى لأكثر من خمس وأربعين دقيقة يوجه لي نصائح كان
أهمها ألا ترتبك، ومن كثرة تكراره لهذه النصيحة دخلت المقابلة
الشخصية وأنا في شدة الارتباك لأجد فتاة في نهاية العشرينيات

من عمرها توجه لي أسئلة سخيفة أجبت عليها إجابات نموذجية لقنها لي أحمد مصطفى... ولكني فشلت في ألا أرتبك.

انتهيت من المقابلة وخرجت من الشركة واتصلت بأحمد مصطفى وأخبرته عما حدث فقال لي:

- طب تمام، يومين كده وهتصل ببيك أقول لك عملت ايه.

- ماشي.

اتصل بي أحمد مصطفى بعد يومين:

- للأسف يا سحس انت ما اتوفقتش في المقابلة دي، البت بتاعة الاتش آر قالت لي شكله محترم قوي وكان خايف، وده مش هينفع مع العملاء.

لم أجد ما أقوله فتابع وهو يحاول أن يطمئنني:

- عادي مش مشكلة، أنا ظبطت لك مقابلة تانية في فرع تاني، هتروح يوم الخميس وتعمل اللي قلت لك عليه قبل كده.

كنت قد حاولت في المقابلة الأولى أن آخذ بجميع نصائح أحمد مصطفى لذا كنت أثق تمام الثقة أن المقابلة الثانية لن تكون

أفضل، وفكرت جديدًا في صرف النظر عنها، ولكن أخي لم يكن ليسامحني أو يفكر في مساعدتي مرة أخرى، فقررت الذهاب في الموعد المحدد فقط لإثبات الحضور، وبعد أن اقتنعت تمامًا أنهم يبحثون عن شخص غير محترم يستطيع خداع العملاء والدخول معهم في مشاحنات ويتحمل سلطة أسنتهم، وهي مؤهلات لا أمتلكها.

ارتديت البذلة دون رابطة عنق، وفي طريقي إلى فرع الشركة اشتريت أربع سجاثر من نوع "ميريت" الذي كان يدخله أحمد مصطفى، رغم أن علاقتي بالتدخين كانت قد انتهت بعد أن كنت أدخن نحو خمس سجاثر -فقط- في الأسبوع خلال فترة دراستي الجامعية.

وصلت الشركة متأخرًا عن ميعاد المقابلة بنحو ربع الساعة بعد أن تسكعت قليلًا في الشوارع، وقدمت نفسي لموظف الاستقبال:

- محمد حسين... عندي انترفيو هنا.

- مع مين يا أفندم؟

- امممم.. تقريبا رانيا، أو نهى.

واستطردت وأنا أشيخ بيدي:

- مش فاكر الاسم الحقيقة.

- امممم.. طب هشوف كده.

أمسك موظف الاستقبال الهاتف، وما أن بدأ في إجراء مكالمة قررت عمل محاولة أخيرة فأشعلت سيجارة على أمل أن يطردني من الشركة بلياقة ويوفر عليّ عناء الخضوع لمقابلة شخصية أعرف جيدًا أنها ستنتهي بالعبارة المعتادة "هنبقى نتصل بيبك".

أنهى الموظف المكالمة وقال لي:

- أستاذة رانيا مش موجودة للأسف.

شعرت بسعادة استكثرتها عليّ موظف الاستقبال الذي استطرد:

- حضرتك هتقابل أستاذ مصطفى مدير الفرع.

ولم ينتظر مني رد وأشار لي بالدخول:

- الطرقة اللي في الوش دي، تالت مكتب على إيدك الشمال.

توجهت إلى حيث أشار لي، وما أن وصلت أمام مكتب مدير الفرع حتى ألقىت السيجارة على الأرض، ودهستها بحذائي، وفتحت باب المكتب، دون أن أطرق الباب، واقتربت من مكتب مصطفى وجلست دون أن أنتظر إشارة منه وقدمت نفسي:

- محمد حسين.

- أهلا بيك.

ويبدو أنه لم يكن لديه وقت ليضيعه معي فبدأ بتوجيه الأسئلة السخيفة التي استقبلتها جميعًا وأنا أبتسم وأجيب عليها بلامبالاة، ليس فقط كشخص ليس لديه ما يخسره بل ليس لديه أيضًا ما يريد أن يكسبه.

قطعنا شوطًا لا بأس به من الأسئلة قبل أن يلتقط هاتفه المحمول من على مكتبه ويمد يده إليّ به ويقول وهو يبتسم ابتسامة صفراء:

- تعرف تبيع لي الموبايل ده؟

قلت له بسخرية وأنا أحاول أن أمنع نفسي من الضحك:

- ايه ده، هو مش بتاعك؟

ضحك وقال لي:

- اعتبره بتاعك انت واقنعني إني أشتريه.

أخذت منه الهاتف وفكرت للحظات قبل أن أضعه على المكتب
وأشعل سيجارة وأخذ منها نفسًا عميقًا وأقول له والدخان
يتصاعد من فمي:

- الموبايل ده كويس جدًا، لو ما اشتريتتهوش هتندم.

- ليه هندم؟

- لو ما اشتريتتهوش هتعرف من اللي هيشترية.

وضحكت بصوت عالٍ وكأني أقول له " اذهب إلى الجحيم أنت
والهاتف الملعون".

نظر لي - للحظات - نظرات غير مفهومة قبل أن يقول العبارة
التي كنت أنتظرها بفارغ الصبر:

- هنبقى نتصل بيبك.

خرجت من الشركة وأشعلت السيارة الأخيرة معي ولم أتصل بأحمد مصطفى، وألقيت المقابلة خلف ظهري وكأنها لم تحدث.

اتصل بي أحمد مصطفى في اليوم التالي ولكني لم أرد عليه، فقد كنت أعرف أنه سيبلغني برفضي، فأرسل لي رسالة على الهاتف:

- كلمني ضروري.

شعرت بالقلق من رسالته وأنا أفكر في أن طريقي غير المهدبة مع مدير فرع الشركة قد تكون تسببت لصديق أخي الأكبر في مشكلة ويريد أن يؤنّبني بسببها؛ فشعرت بالخجل من الرد عليه أو الاتصال به حتى فاجأني أخي الذي طرق باب غرفتي ودخل وقال لي:

- اتصل بأحمد مصطفى عشان عايزك.

قلت له بتوتر:

- حصل حاجة ولا ايه؟

نظر لي بدهشة وقال:

- حاجة ايه؟

واستطرد دون أن ينتظر ردي:

- عايزك تكلمه عشان تحضر الورق بتاعك وتعرف هتنزل
الشغل من امتى.

تمت

الحادثة

اتفق معي على أن يتصل بي في تمام العاشرة مساءً، وعندما تأخر عليّ اتصلت به في المنزل، فَرَدَّت عليّ والدته بصوت أنهكه البكاء:

- آلو.

- آلو، ممكن أكلم أحمد؟

- أحمد عمل حادثة بالعربية.

التزمت الصمت للحظات قبل أن أتمالك نفسي وأسألها:

- وهو عامل ايه؟

- في العناية المركزة... في القصر العيني الفرنسي.

شعرت بقلق شديد تغلبت عليه بصعوبة وقلت لها بارتباك:

- إن شاء الله خير.

أنهيت المكالمة ونظرت للساعة التي جاوزت الحادية عشرة، وارتديت ملابس علي الفور وخرجت من المنزل وركبت "ميكروباس" أوصلني لمحطة مترو الأنفاق، حيث ركبت في العربة الأخيرة منه والمعروفة بقلة ازدحامها.

كنت قد تعرفت على (أحمد إمام) قبل نحو عامين، وبالتحديد في نهاية الفصل الأول لي بكلية التجارة، واعتبرني صيدًا سمينًا عندما ذهبت، ذات مرة، لأستذكر دروسي معه، ووجد أنني أذاكر له وليس معه، فتمسك بصدائتي التي لم أرفضها من جانبي، ربما لأنه يمتلك تلك السيارة الحمراء من طراز فيات 128 والتي عرفت في تلك الليلة أنه اصطدم بها في سيارة نقل متوقفة في مكان خاطئ على أحد الطرق الرئيسية وهو يقود على سرعة عالية كعادته.

كان أحمد إمام - الذي كنا نناديه باسم "إمو" - يقود السيارة عائدًا إلى منزله، وعلى نفس الطريق، وفي سيارة أخرى فارهة، صديقه عمرو الذي كان يجلس معه صديقهما الثالث هاني.

ولأن إمو أراد أن يثبت لعمرو أنه يستطيع أن يتفوق عليه في القيادة، بسيارته الشعبية، فقد انطلق بالسيارة بسرعة جنونية، وهو لا ينظر جيدًا إلى الطريق ضعيف الإنارة، حتى فاجأته سيارة نقل واقفة على جانب الطريق، وسائقها يدخل البناجو.

تهشمت سيارة أحمد إمام تمامًا، وتوقف عمرو مفزوعًا، ونزل من السيارة مع هاني الذي دخل في نوبة بكاء عنيفة وهو يرى

الدماء متناثرة على وجه وملابس إمو. وقد رفض مستشفى المعادي استقباله بسبب سوء حالته التي اعتبرها المسئولون بالمستشفى ميئوسًا منها.

كان عمرو متماسكًا بقدر كبير كعادته، في حين انهار هاني في البكاء وهو يتوسل للمسئولين في مستشفى قصر العيني الفرنسي أن ينقذوا صديقه، فوافقوا على استقبال الحالة لكي يحصلوا على مبلغ مالي كبير بعد فشلهم في إنقاذ حياته.

واتصل عمرو بحازم -زوج شقيقة أحمد- الذي يعمل ضابط شرطة واعتاد أن ينقذ إمو من المشكلات التي يقع بها:

- ألو.. أيوه يا حازم.. احنا في القصر العيني الجديد.. إمو عمل حادثة.. في العناية المركزة.

اعتاد الرائد حازم أن يخفي مشاكل إمو عن زوجته ووالدتها ووالدها - لواء الشرطة المتقاعد- إلا أنه فشل في إخفاء أمر الحادثة عن زوجته التي لاحظت توتره وأصرت على معرفة السبب، قبل أن تخبر والدتها التي دخلت في نوبة بكاء شديدة ولم تجد فائدة من الاتصال بزوجها الذي كان متواجدًا بالإسكندرية حيث تعيش زوجته الأخرى.

نزلت من المترو الجديد في محطة السادات وفضّلت أن أتوجه للمستشفى سيرًا على الأقدام حتى أهدأ قليلًا وأستطيع أن أتمالك نفسي عندما أصل.

كنت في الماضي أستمتع بالسير في شارع القصر العيني، إلا أنني وجدته في تلك الليلة مرعبًا، فالسيارات التي كنت أستمتع من قبل بمشاهدتها رأيتها في هذا اليوم أدوات موت تكاد تدهمني بسرعة كبيرة، وتدهسني تحت عجلاتها، فشعرت بندم، لا فائدة منه، على أنني لم أكمل طريقي بالمترو حتى محطة السيدة زينب الأقرب للمستشفى.

وصلت إلى المستشفى ودخلت وقد زاد توتري أكثر عندما وصلت إلى ساحة انتظار صغيرة أمام باب يقود إلى غرف العناية المركزة، ويحرسه عامل يرتدي زي التمريض.

نظرة سريعة إلى الوجوه المترقبة أمام الباب كافية لإثارة الخوف في نفس شخص مثلي حاول التماسك بقدر الإمكان.

اقتربت من العامل، وسألته:

- لو سمحت صاحبي اسمه أحمد إمام جاي في حادثة عربية.

نظر لي الحارس وقال بهدوء ودون أن يفكر:

- الحالة مستقرة.

شعرت ببعض الطمأنينة وُعدت خطوات للخلف وأسندت ظهري إلى الحائط قبل أن أرى حازم على بعد خطوات مني وهو يبدو عليه القلق.

كان حازم قد رأني أكثر من مرة وأنا أذاكر مع إمو وسلم عليّ، ولكنه عندما رأني في تلك الليلة لم يعرني أي اهتمام وكأنه لا يعرفني، وهو ما لم أندعش منه، فقد كان يرى، بحكم وظيفته، أنه "الباشا" الذي يجب أن يتودد إليه الآخرون، وما عليه إلا أن يقبل أو يرفض توددهم.

نصف ساعة مرت عليّ ثقيلة وأنا أقف في مكاني لا أعرف ما يجب عليّ فعله، هل أنصرف بعد أن طمأنني العامل أم أنتظر حدوث أي جديد!

تملكني الملل والإرهاق واقتربت أكثر من العامل الذي أثار فضولي بملامح وجهه التي لا تتغير، مثلها مثل طريقة رده على أي أحد يقترب منه.

وقفت على بعد خطوتين مجاورًا للعامل، وبعد أقل من خمس دقائق اقتربت منه سيدة أربعينية وسألته عن زوجها الذي يرقد بإحدى غرف العناية المركزة، فما كان منه إلا أن قال لها بنفس الهدوء ودون أن يفكر أو يحاول التأكد من أنه سمع الاسم صحيحًا:

- الحالة مستقرة.

أدركت على الفور أنني عندما سألته لم يعرف من هو أحمد إمام الذي سألته عنه، وأنه مبرمج بحكم طبيعة مهنته على هذا الرد، فشعرت بالقلق وابتعدت عنه وجلست على الأرض، ودارت برأسي أفكار سوداء عن مصير إمو، ولم أستوعب أنني يمكن ألا أراه مرة أخرى.

وعلى الرغم من بشاعة فكرة رحيل أحمد إمام بهذه الطريقة وفي هذه السن الصغيرة إلا أنني عندما تخيلت حازم باشا ضابط الشرطة المتكبر الذي تجاهلني، وهو ينهار فور سماعه للخبر المؤسف شعرت بنشوة بالغة استنكرتها وطردت الفكرة الشيطانية من رأسي ودعوت الله أن ينجو صديقي.

نصف ساعة وأنا أحاول طرد كل الأفكار السلبية من رأسي.
وفجأة فُتح الباب وخرج طبيب يبدو عليه الإرهاق، واقترب منه
حازم بتوتر وسأله برجاء:

- أحمد إمام يا باشا.. عامل ايه؟

نظر له الطبيب بتعالٍ وتابع طريقه دون أن يرد، فلاحقه حازم
بخطوات مرتبكة، وأنا خلفه، وقال له بنفس الطريقة:

- يا باشا.. أحمد إمام اللي جاي في حادثة العربية.

توقف الطبيب بهدوء والتفت لحازم، وقال له ببرود:

- الحالة مستقرة.

تابع الطبيب سيره في حين نظر له حازم باستنكار وبدا عليه أنه
يريد أن ينهال عليه بالضرب بسبب تلك الطريقة التي يتعامل
بها معه.

قطع رنين هاتف حازم، أفكاره العدوانية، فالتقطه من جيب
بنطاله ونظر إلى شاشته قبل أن يأخذ نفسًا عميقًا ويرد على
والدة أحمد إمام:

- ألو.. أيوه يا طنط.. لأ تمام ما تقلقيش.. الدكتور لسه طالع من
جوه أهو وطمني.. لأ تمام الحمد لله.. الحالة مستقرة.

تمت

کومبارس

"فريد شوقي قال اللي بيبدأ كومبارس بيفضل طول عمره كومبارس".. كنت أجلس على مقهى "بعرة" بشارع عماد الدين مع بعض زملائي الباحثين مثلي عن الشهرة والثراء المادي، تحت ستار عشق الفن، عندما سمعنا أحدهم وهو يردد الجملة التي نسبتها للفنان الراحل، فنظر بعضنا إلى بعض، وكل منا ينتظر الآخر أن يُعلق.

ولأننا لم يكن لدينا طريقًا آخر نسلكه سوى العمل ككومبارسات، على أمل أن نترقى في السلم الفني إلى تمثيل أدوار صغيرة تكبر بضربة الحظ، التزمنا الصمت، وجاء محمد جمعة، الريحيسير، لينقذنا من هذا الموقف وجلس معنا دون استئذان وسألنا:

- ايه يا فنانيين، معاكوا حاجة ولا لسه؟

رد عليه عادل، الذي جاء من كفر الشيخ إلى القاهرة باحثًا عن النجومية، بحزن مصطنع:

- لسه والله يا فنان.

كانت أقصى درجات الاحترام والتقدير في عالم الكومبارسات والريحيسيرات أن يقول أحدهم لزميله "يا فنان".

قال محمد جمعة:

- طب ايه رأيكوا تنزلوا حاجة تاريخي؟

قال له عمرو الذي كان يرى نفسه أكثر وسامة من رشدي
أباطة:

- فيلم ايه؟

نظر له محمد جمعة باستنكار:

- فيلم ايه يا فنان! هو احنا بنعمل أفلام تاريخية؟! ده
المسلسل بتاع فارس جلال.. "الظاهر بيبرس".

نظر عادل لعمرو وقال:

يا عم مش هتفرق فيلم ولا مسلسل.. انت كده كده كومبارس
حقير.

والتفت لجمعة وسأله:

- فين الأوردرد ده يا أستاذ جمعة وعلى كام؟

- بكره في القلعة الساعة 12 الظهر.. على 20 جنيه.

نظر لي عمرو وهو "يلوي بوزه"، ففهمت أنه يطلب مني أن أتفاوض نيابة عنا جميعًا، فقلت لمحمد جمعة:

- قليل 20... التاريخي يبقى بهدلة وبيركبوا لنا شنبات ودقون ونقعد نشم كولة لحد ما تتسطل... والله أنا بخاف من الكولة اللي بيلزقوا بيها الشنبات والدقون دي.

قال جمعة وهو يهم بالنهوض:

- هو ده اللي موجود، فكروا وأنا قاعد فوق في المكتب.

أمسكه عادل من كُم البلوفر الأجرى الذي يرتديه:

- استنى بس يا فنان.. هيبقى في وجبة ولا وجبتين؟

- اتنين.

نظر لنا عادل:

- خلاص، طالما وجبتين يبقى ماشي.

أعطى لنا محمد جمعة تفاصيل "الأوردنر" وأكد على ضرورة الحضور في تمام الساعة الحادية عشرة ظهرًا أمام قلعة صلاح الدين الأيوبي، وانصرف وتركنا، فقال عمرو لعادل باستنكار:

- وجبة ولا وجبتين؟! هو ده اللي يهمك؟!

- بالنسبة لي أنا بتفرق عشان قاعد لوحدي... وكده كده كنت هوافق عشان ألحق أجيب إيجار الأوضة قبل أول الشهر.

وصلت أمام القلعة فوجدت عمرو وعادل ومعهم ثلاثة آخرين ينتظرون الريجيسير وهم يحدقون في السائحات الشقراوات، وعندما أفاقوا من أحلامهم الجنسية على وجودي قال لي عمرو:
- اتأخرت كده ليه مش قولنا الميعاد11؟!

ضحكت وقلت له:

- طب ما أنا جيت 12 أهو وهو لسه ماجاش.. الريجيسير لما يقول لك 11 تروح 12 عشان الميعاد واحدة.. لسه ما فهمتش؟!

قال لي وهو ينفخ بضيق:

- على رأيك.. والله ما كنت عايز آجي.. احنا شكلنا بنضيع وقت ومش هنوصل لحاجة.

- عادي بقى

وصل محمد جمعة في تمام الواحدة وانتظرنا باقي الكومبارسات حتى الواحدة والنصف ودخلنا القلعة دون دفع قيمة التذكرة بعد أن أخبرنا رجال الأمن أننا تابعين لفريق عمل المسلسل، لنشعر بأهميتنا.

- احنا عندنا تصوير هنا.

- انتوا تبع المسلسل؟

- أه.

- اتفضلوا.

دخلنا القلعة ومشينا نحو ربع الساعة حتى وصلنا إلى موقع التصوير فوجدنا الفنانين المشهورين، منهم من يقوم بتصوير مشاهده ومنهم من يرتدي ملابس الشخصية التي يؤديها في المسلسل ويضع الماكياج.

سألنا أحد مساعدي المخرج عن موعد وقوفنا أمام الكاميرا فقال وهو يشيح بيده باحتقار:

- لسه بدري عليكموا، اقعدوا على جنب دلوقت.

كنا قد اعتدنا، من المرات السابقة، على تلك الطريقة في التعامل، خاصةً من مساعدي المخرج عديمي الأهمية، وعن نفسي كنت قد قررت أن أتجاهل تلك الإهانات طالما كانت موجهة للجميع وليس لي بشكل شخصي، فالتفت لعادل وعمر وقلت لهما:

- ما تيجي ناخذ لفة في القلعة، أنا عمري ما جيت هنا.

وافق عادل على الفور وكأنه يريد أن يهرب من مساعد المخرج، فقال بحماس:

- يلا.

أخذنا جولة في القلعة استمرت لنحو ساعة ونصف الساعة قبل أن نعود إلى مكان التصوير ومنتظر كالعادة... فقد كان الانتظار هو أهم ما يميز مهنة الكومبارس.. تصل إلى مكان لقائك بالريجيسير وتنتظر، وعندما يصل تنتظر باقي المجموعة، وعندما تصل إلى مكان التصوير تنتظر حتى يحين وقت وقوفك أمام الكاميرا، وعن الوجبة أو الوجبتين فقد كنا ننتظر أن يأكل الفنانون حتى يتذكرنا مسئول الإنتاج بوجباتنا التي كانت بالطبع أقل جودة.

انتظرنا في هذا اليوم كثيرًا... حتى الساعة مساءً قبل أن يتذكرنا أحدهم ويطلب من مسئولِي الملابس والماكياج أن يجهزونا للتصوير.

ارتدي عادل ملابس خادم بشارب ضخمة، وارتدي عمرو ملابس عبد بـ "سكسوكة" شكلها مثير للسخرية، في حين ارتديت أنا ملابس جندي أشعرتني بالفخر وأنا أمسك بالسيف المصنوع من الألمونيوم، وأتخيل مساعد المخرج وقد رأني وأحضر لي حصانًا عربيًا أصيلًا وطلب مني المشاركة في معركة حربية طاحنة تنتهي بحصولي على دور كبير في المسلسل.

سرحت بخيالي كعادتي قبل أن أفيق في حوالي التاسعة على صوت مساعد المخرج الذي تحدث معنا باحتقار:

- تعالى انت اللي لابس عسكري.

التفت لمصدر الصوت، وتوجهت إلى مساعد المخرج وأنا أشعر بالقلق من طريقة تعامله الغليظة.

اصطحبني إلى داخل أحد مباني القلعة وصعدنا السلالم المظلمة وأنا أشعر برهبة شديدة، خصوصًا عندما تذكرت قصة

مذبحة القلعة التي لم أكن أعرف تفاصيلها، فقط هي مذبحة
وحدثت في القلعة.

وصلنا إلى طاقم العمل وتعرفت من بينهم على الممثل حسن
عبدالجواد الذي كان يضع لحية خفيفة لونها بني غامق ويقف
بجانب المخرج يستمع لتوجيهاته.

أوقفني مساعد المخرج كحارس على أحد الأبواب التي عرفت
من كلام المحيطين بي أنه باب سجن، وقال لي بلهجته الفظة:

- هتقف هنا وانت فارد نفسك كده، وأوعى تبص للكاميرا.

بمجرد أن قال لي جملته الأخيرة، نظرت بشكل تلقائي إلى
الكاميرا، فصاح في بصوت مرتفع:

- يا ابني بقول لك أوعى تبص للكاميرا، انت ما بتفهمش!!

أردت أن أقول له إنني أتأكد من مكان الكاميرا حتى أتجنب
النظر إليها عندما يبدأ التصوير، ولكن ارتبكي منعي فأشرت
إليه بيدي معتذراً.

"يلا يا جماااااا... هنصوووور" ..

بمجرد أن قال المخرج هذه العبارة وبدأ العد التنازلي الذي يبدأ بالرقم (خمسة) تآهب الجميع والتزموا الصمت واختفوا وراء الكاميرات، فدخل حسن عبد الجواد الكادر مكبلاً بسلاسل حديدية، ويمسك به حارسان حتى وصلوا إلى باب السجن وقال لي أحدهما بلهجة غليظة مصطنعة:

- افتح الباب.

تظاهرت بأنني أفتح باب السجن بالمفتاح ثم دفعته وأفسحت الطريق لهما ليصطحبا "عبدالجواد" إلى الداخل قبل أن يخرجوا ويقول لي الحارس بنفس الطريقة:

- اقفل الباب.

جذبت الباب بعنف وتظاهرت بأنني أغلقه بالمفتاح وُعدت إلى مكاني ولم أنس أن "أفرد نفسي".

"Cuuuuuuuuuuut" .. اللي بعده.

قالها المخرج فعادت الحياة إلى طبيعتها، وسمعنا صوت الأنفاس التي كانت مكتومة، وعدت أنا إلى وقفتي الطبيعية وأنا أشعر بالفخر بعدما أدت المهمة المطلوبة بنجاح.

تلّفت حولي وأنا لا أعرف ما يجب عليّ فعله، فقال لي مساعد
المخرج بنفس لهجته الغليظة:

- زي ما انت في مكانك، في مشهد تاني.

سعدت كثيرًا عندما علمت أنني سأظهر في مشهدين وليس
مشهد واحد واعتبرتها خطوة جيدة في طريق النجومية، ووجدت
أنه من حقي أن أستريح قليلًا حتى يقوموا بتحضير المشهد
الثاني، فجلست على الأرض وأسندت رأسي إلى الجدار وأغلقت
عيني وغفوت دون أن أشعر، واستيقظت على صوت المخرج:

- يلا يا جماعة، هنام ولا ايه!! صحي اللي نايم ده، يلا faiiiiiiiive.

استيقظت مفزوعًا ووقفت في مكاني "فاردًا نفسي" والتفت
حولي بحذر فوجدت حسن عبد الجواد بلحية بيضاء طويلة
فشعرت بالدنيا تدور من حولي وأنا أسأل نفسي بذهول:

- هو أنا نمت كام سنة؟!

ويبدو أن مساعد الفنان حسن عبد الجواد (اللبيس)، الذي كان
يقف بالقرب مني، سمع السؤال فأراد أن ينقذني من حيرتي
واقترب مني وقال لي بصوت منخفض وهو يبتسم:

- المفروض ان هو هيتسجن سنين كتير قوي ويخرج، هما
بيصوروا مشهد السجن ومشهد الخروج ورا بعض.

فهمت أنني غفوت حوالي نصف ساعة حتى خضع الفنان
للمسات الماكياج التي جعلته يكبر في السن كثيرًا ويصبح كما
رأيته.

كانت فتاة الماكياج تضع اللمسات الأخيرة على لحية الفنان
الذي كان مندمجًا في مناقشة فنية مع مخرج المسلسل،
وعندما شعرت أن المناقشة ستطول فضّلت أن أجلس على
الأرض حتى أكون مستعدًا تمامًا وقت التصوير.

ويبدو أن مساعد المخرج لم يجد ما يفعله في ذلك الوقت فنظر
لي بغضب مصطنع وصاح بصوت مرتفع:

- انت يا حيوان ياللي قاعد انت.. انت جاي تنام هنا ولا ايه؟!

نظرت له بغضب ودون أن أفكر أخذت بضعة خطوات مقترّبًا
منه وأنا أسحب السيف:

- انت بتقول لمين يا روح أمك؟!

تراجع خطوات للخلف حتى التصق بالحائط وتدخل مساعد
حسن عبدالجواد وأمسكني:

- استنى بس هتعمل ايه؟

- هشوف ابن الوسخة ده بيقول ايه.

فوجئت بالحارسين يمسان بي محاولين تهدئتي، وتجمع
آخرون كان آخرهم المخرج الذي صاح بغضب:

- ايه في ايه!! يلا كله يرجع مكانه.

عدت إلى مكاني وأنا أكاد أشتعل غضبًا وأشرت لمساعد
المخرج بيدي إشارة توعده، وبعد تصوير المشهد الذي كان
الأخير في هذا اليوم، تلّفت حولي باحثًا عنه ولم أجده.

قمت بتغيير ملابسني وبحثت عنه بلا جدوى، وعندما علمت
من محمد جمعة أن هناك تصوير في اليوم التالي بنفس المكان
طلبت منه أن أكون معه حتى ولو بدون أجر، فوافق على الفور.

الطبيعي أن يخاف الكومبارس من مساعد المخرج ولكنني لم
يكن لدي ما أخسره فقد قمت بتصوير مشهدين في المسلسل
وأخذت العشرين جنيهاً، وتناولت وجبتين باردتين، فذهبت إلى

التصوير في اليوم التالي وأنا لا أفكر إلا في الانتقام من مساعد المخرج الذي هرب من سيفي المصنوع من الألمونيوم.

ذهبت إلى التصوير في اليوم التالي ودخلت القلعة وتوجهت مباشرة إلى مكان التصوير، وسألت عن مساعد المخرج فقال لي أحدهم إنه في غرفة الملابس.

دخلت الغرفة واقتربت منه وعقدت ذراعي أمامي ووقفت بثبات أسدد نظراتي الثاقبة إليه، وعندما التفت للخلف ورآني على بعد خطوات قليلة منه نظر لي نظرة تساؤل قبل أن يتعرف علي ليبدو القلق على وجهه، فابتلع ريقه وأشار لي بيده:

- تعالى تعالى اتفضل.

والتفت لفتاة الماكياج بارتباك وقال لها:

- الراجل ده 100 - 100 اعلمي له ماكياج الخادم على طول وظبطيه عشان هيعمل مشهد متكلم.

أن تعتاد لفترة طويلة على الأدوار الصامتة ثم تقول كلمة أو جملة فهو بالطبع ما يساوي الحصول على ترقية في وظيفة

حكومية، والصعود من الدرجة الثامنة إلى السابعة، لذا فبمجرد أن سمعت ما يقوله شعرت بسعادة بالغة وتناسيت إهائته لي. أسرع مساعد المخرج للخروج من الغرفة وتركني أرتمي نفس الملابس التي كان يرتديها عادل أمس، وجاء لي بعد أقل من نصف الساعة وطلب مني أن أتبعه لتصوير مشهد قلت فيه:

- "نعم يا سيدي"

ثلاث كلمات قلتها وأنا أبذل مجهودًا شاقًا لكي أطرده الابتسامة من على وجهي، حيث كنت أشعر أن أبواب النجومية قد فُتحت لي.

انتهيت من تصوير المشهد وجاء لي مساعد المخرج وشكرني على أدائي الذي وصفه بالهائل، وأعطاني ثلاثين جنيهًا من جيبه الخاص، وطلب مني تغيير ملابسني والانصراف، فانصرفت وأنا أشعر بالسعادة.

تمت

سلامة بخير

الاسم صحفي والفعل قواد..

احتل محمد سلامة مكانة متميزة في الموقع الإخباري الذي أعمل به محررًا بقسم "التوك شو" بسبب قربه من رئيس التحرير الجديد الذي جاء مع حاشيته ليدير الموقع الذي يمتلكه رجل أعمال شهير أراد أن يحقق مزيدًا من الانتشار والنجاح للموقع الذي كان يُدر عليه ملايين الجنيهات شهريًا.

لم يلفت "سلامة" انتباهي بسبب الطريقة المتعالية التي يتعامل بها مع معظم الموظفين القدامى في الموقع، فقد تفهمنا - نحن القدامى - هذه الطريقة من حاشية رئيس التحرير الذين جاءوا معه فيما يشبه الاحتلال، وكان واضحًا للجميع أنهم يسعون لـ "تطفيشنا" من المكان الذي كنا نعتبره بيتنا الثاني حتى وإن كنا نحصل منه على مرتبات ضئيلة.

لَفَت "سلامة" انتباهي عندما وجدت أن الموظفين الأقدم مني في الموقع يعرفونه كما يعرفهم جيدًا، فقد كان يقف مع بعضهم أمام باب الشركة -التي كانت تحتل طابقين بعمارة شاهقة في حي راقٍ- وهو يدخل السجائر ويمزح معهم.

أثار هذا الأمر فضولي وعندما استفسرت من أحد زملائي عنه قال لي إن سلامة كان يعمل معهم في الموقع بقسم الاقتصاد، وقد استقالته قبل انضمامي إليهم بأكثر من عام، والتحق بالعمل في جريدة ورقية يديرها الإعلامي المشهور الذي أُعجب بسلامة لإجاداته فنون تقديم فروض الطاعة والولاء، واعتبره من رجاله المقربين، وأوكل إليه مهمة التفاوض مع الصحفيات اللاتي يسعى لضمهن لزمرة حريمه من صحفيات حجات النوم.

ذَكَرْتَنِي حكاية سلامة بالحكاية التي شاهدتها أكثر من مرة في أفلام عربية أنتجت خلال فترتي السبعينات والثمانينات عن "عبيط القرية" الذي طرده أهلها منها بجلبابه الممزق عندما أمسكوه وهو يتلصص على النساء فأوسعوه ضربًا، وأجبروه على سف التراب قبل أن يخرج من القرية ذليلاً منكسرًا، ليعود إليهم بعد عدة سنوات وهو يرتدي ملابس غير متناسقة باهظة الثمن ويرافق "سعادة البيه" الذي جاء ليحتل القرية تحت مسمى الاستثمار والتطوير.

لم يكن سلامة يمارس عملاً حقيقيًا متعلقًا بنشاط الموقع، فهو فقط يتودد لحمدي عبد الجواد، رئيس التحرير، ويعبر عن إعجابه الشديد بـ "عبقريته" وقراراته الحمقاء، وينقل له أخبار

العاملين بالموقع كعصفورة مخلصه لراعيها، بالإضافة إلى عمله الأهم كقواد يتفاوض مع أي صحفية تثير إعجاب رئيس التحرير الذي لم يكن يشبع من المغامرات الجنسية التي كانت تشعره بوسامته وجاذبيته ورجولته، وهو أبعد ما يكون عن هذه الصفات.

شاهدت سلامة أكثر من مرة وهو يقف مع بعض الصحفيات الجميلات على سلالم العمارة التي تقع بها الشركة، وهو ما أثار فضولي ودهشتي، حتى فهمت فيما بعد، أنه يتفاوض معهن ويطلب منهن تقديم تنازلات لرئيس التحرير مقابل الحصول على مميزات كثيرة أهمها -بالطبع- زيادة الراتب.

كان سلامة قد اكتسب خبرة لا بأس بها في اصطياذ صحفيات حجرات النوم، فكان يهتم كثيرًا بمراقبة صحفيات قسم الفن، والمطلقات من الأقسام الأخرى، وعندما يستقر على الفريسة يبدأ في تقديم استعراض رخيص أمامها ليُعرفها بأهميته في الموقع.

يبدأ استعراض سلامة الرخيص بالتحدث بصوت مرتفع في صالة التحرير مع الزج باسم رئيس التحرير في كلامه لكي تعرف

الصحفية المستهدفة أنه على صلة وثيقة به، وهو الإعلامي المشهور الذي قد يمتلك أحد مفاتيح بوابة المجد والشهرة والثراء المادي، ثم تأتي الخطوة الثانية فيفتعل سلامة مشكلة مع أحد الصحفيين القدامى في الموقع وينكل به بدعم من سيده ليضرب عصفورين بحجر، يُثبت قوته أمام الصحفية، ويأخذ خطوة في "تطفيش" صحفي من القدامى.

ويبدو أن سلامة قد استقر مؤخرًا على "ميرنا" التي كانت اختيارًا مثاليًا له، فهي مطلقة وتعمل بقسم الفن وترتدي ملابس مثيرة تبرز مفاتها.. فليبدأ معها إذن..

وكما وجد سلامة أن ميرنا فريسة مثالية، وجدني جسرًا مناسبًا من السهل العبور فوقه لأخذ خطوة تجاهها، فقد فوجئت به في أحد الأيام يندفع نحوي وهو يرسم على وجهه المستطيل ملامح حادة ويقول وهو ينظر لي:

- مين اللي شغال توك شو هنا؟!

التفت له بهدوء:

- أيوه يا باشا أوامر.

اقترب أكثر و أزاح يدي من على فأرة الكمبيوتر الموضوع أمامي وفتح الموقع على خبر من أخباري وقال لي بغضب مفتعل:

- انت اللي عامل الخبر ده؟

كنت قد قررت في وقت سابق أن أتجنب الاحتكاك بأي صحفي من حاشية رئيس التحرير الجديد، فكتمت غضبي من طريقته المستفزة وقلت له:

- أيوه، ماله؟

- هو ايه اللي ماله؟ انت شغال هنا من امتي؟

كان يتحدث إليّ ونظره متجهًا إلى ميرنا التي كانت تجلس على مقربة مني تتابع الاستعراض.

فكرت قليلًا ووجدت أنني لو رددت عليه بالطريقة المناسبة لطريقته فسيزداد الموقف تعقيدًا ولن أجد مفرًا من المواجهة التي كنت قد قررت تجنبها، فعدت بالكرسي إلى الخلف ليصطدم به، وقلت له وأنا انهض من مكاني:

- معلش هدخل الحمام.

ودون أن أنتظر رده، توجهت لأحمد مجدي، أحد مديري التحرير ورئيس "الشيفت" المسائي، وعندما اقتربت منه طرقت بإصبعي على مكتبه:

- يا مجدي.

التفت لي، فقلت له بصوت منخفض:

- هو سلامة ماله؟

- عمل ايه؟

- جاي يتنطط كده وبيكلمني على خبر، بس بيتكلم بطريقة مش حلوة.

نظر أحمد مجدي تجاه محمد سلامة وقد أدرك ما يحدث، فالتفت لي وقال:

- طب روح انت اشرب سيجارة بره وأنا هشوف.

توجهت إلى باب الشركة على الفور، وفي طريقي أشرت لمحمد عاطف، المحرر بقسم التكنولوجيا، أن يتبعني لتدخين السجائر

فنهض على الفور وهو يأخذ علبة سجائره المستوردة من أمامه.

كان أحمد مجدي يعرف سلامة جيدًا ويتعامل معه كصحفي قديم بقسم الاقتصاد في الموقع، وليس كصحفي مقرب من رئيس التحرير الجديد، ولم يكن قادرًا على تغيير تلك الطريقة التي كان يشعر سلامة نفسه بأنها الطريقة الصحيحة التي تضعه في حجمه الطبيعي. ف "عبيط القرية" مهما ارتدى من ملابس أنيقة، تظل آثار قميصه القذر الممزق على جسده تطارده، ويظل في صراع ومحاولات مفضية للتخلص منها، ولكنه يفشل دائمًا وأبدًا.

اتجه مجدي إلى حيث يقف سلامة ينظر لميرنا ويحاول تجاذب أطراف الحديث معها:

- في ايه يا سلامة؟

التفت محمد سلامة لمجدي ونظر له بارتباك:

- أوامر يا كبير.

- ماله الخبر بتاع التوك شو؟

ارتبك سلامة أكثر وأخذ يتلفت حوله باحثًا عني فأدرك أنني "سلمته" لمجدي، ونظر لميرنا وهو يشعر بالخوف من أن تهتز صورته أمامها، ثم قال لأحمد مجدي بنظرات زائغة:

- بقول لك ايه.. تعالى نطلع نشرب سيجارة بره.

نظر له مجدي ببرود:

- روح انت وابعث لي محمد حسين ع البوفيه.. وأنا هجيلك.

ابتلع سلامة ريقه بصعوبة واندفع لباب الشركة وعندما خرج من الباب كان وجهه مكفهرًا، ونظر لي وقال وهو يكتم غيظه:

- كلم أحمد مجدي عايزك في البوفيه.

أطفأت السيجارة وذهبت إلى البوفيه فوجدت مجدي يعد لنفسه كوبًا من الشاي، وعندما رأي بجانبه قال لي بهدوء:

- سيبك منه أنا هظبطه دلوقت، ولو كلمك تاني ادي له على قفاه.

نظرت له نظرات حائرة فاستطرد بعد ثوان من التفكير:

- ولا أقول لك... لو كلمك تعالى قول لي على طول.

- ماشي.

عدت إلى مكتبي ومارست عملي وأنا أحاول تجاهل ما حدث للتخلص من الضيق والقلق، ولم أسأل "مجدي" عما فعله مع سلامة حتى بعد أن طاردتني نظراته المتوقعة في الأيام التالية.

كان سلامة يمر بجانبني ويتعمد التحدث مع أي شخص يجلس أو يقف على مقربة مني، ويردد اسم رئيس التحرير وسط كلامه وهو يختلس النظرات لي، ولم أجد ما أفعله أمام نظراته المستفزة سوى النظر إليه بلامبالاة قبل توجيه نظراتي إلى شاشة الحاسوب أمامي والانغماس في ممارسة العمل، أو الخروج من باب الشركة وتدخين السجائر مع محمد عاطف الذي كان يتحدث عن محمد سلامة بسخرية ويصفه بـ "العيل العبيط التافه".

- سلامة ده عبيط أصلاً، ده أنا بديله على قفاه.

- يا عم ده من رجالة الزفت حمدي رئيس التحرير.

- هو وحمدي يا عم.. هيعمل لنا ايه حمدي يعني!؟

قلت بسخرية:

- ولا أي حاجة.. هيرفدني بس.

ضحك وقال لي:

- يا عم يعني بتقبض الدولارات؟! ده كلهم 3 آلاف ملطوش.

أطفأت سيجارتي في المنفضة الموضوعه بجانب المصعد وقلت له وأنا أدخل من باب الشركة:

- انت بتقول كده عشان مش متجوز ولا عندك عيال.

مرت بضعة أيام على نفس المنوال، أحاول الانغماس في العمل بقدر الإمكان، وتجاهل حاشية رئيس التحرير بما فيهم محمد سلامة الذي كانت نظراته تستفزني، خصوصًا عندما أضبط نفسي متلبسًا ومشاعر الخوف تحاصرني وأنا أحاول التكهّن بما قد يفعله وهو قواد رئيس التحرير والمسئول عن متعته الجنسية.

أصبحت أشعر بالقلق الشديد وتزايدت الضغوط عليّ، وبعد أن كنت أدخن نحو 3 أو 4 سجائر في اليوم، تضاعف الرقم ووصل في بعض الأيام إلى 10 سجائر من أنواع مختلفة، خصوصًا بعد أن تم نقل قسم "التوك شو" إلى مكتب منفصل كنا نستطيع

أن ندخن فيه بعيدًا عن الأعين. ودون الحاجة إلى الخروج أمام الشركة.

زادت الضغوط عليّ بسبب سلامة وغيره من أفراد الحاشية، وجاء تأخر الراتب الضئيل ليكمل عليّ، فلا أجد نقودًا لأشتري بها سجائر.

جاءت الساعة الحادية عشرة مساءً في ذلك اليوم وكنت أشعر بالضيق الشديد ولم يكن معي سجائر، فخرجت أمام باب الشركة، وفي طريقي مررت بسلامة الذي كان نائمًا على أريكة مقابلة لمكتب موظف الاستقبال.

طلبت سيجارة من عادل، مدير القسم، الذي كان يقف مع صديقه محمود، وأشعلتها وأخذت أنفث دخانها بضيق والأفكار المختلطة تعصف برأسي، وخرج علينا سلامة يتشاءب وعلامات النعاس على وجهه فقال له محمود:

- ما تكمل نوم يا أخويا.

تشاءب سلامة مرة أخرى وقال وهو يضحك:

- لأ ده كده تمام قوي، هات سيجارة عشان أفوق.

مد عادل يده بسيجارة لسلامة وهو يقول له:

- انت محتاج قلمين عشان يفوقوك.

وجدت نفسي أتدخل في الحوار دون تفكير وقلت بسخرية:

- قلمين وشلوت مخبرين.

كنت أتوقع أن يثير تعليقي موجة من الضحك لدى عادل ومحمود، إلا أن سلامة قطع الطريق على أي رد فعل منهما وباغتني بالهجوم بلهجة حادة:

- انت هتهزر معايا ولا ايه؟!

نظرت إلى عادل ومحمود وكأنني أستنجد بهما لكي يضحكا فلا يجد سلامة مفرًا من اعتبار الموقف كوميدي ويستسلم له ويتقبل تعليقي، إلا أنهما نظرا لي نظرات هي مزيج من الدهشة والاستنكار والترقب، فالتزمت الصمت وأخذت أفكر فيما قلته وما يجب علي أن أفعله حتى أخرج من الموقف السخيف.

ويبدو أن سلامة كان ينتظر ما فعلته واعتبرها فرصة ذهبية لكي ينتقم مني، فقال لي بغضب مصطنع:

- انت مين عشان تقول لي كده؟ انت مش صاحبي على فكرة.

لم أجد مفرًا من المواجهة فقلت له بصوت متردد:

- وانت مين أصلًا؟!

- انت اللي مين؟ شغال ايه هنا؟ صفتك ايه في المكان؟ انت

بتقعد فين؟

أراد محمد سلامة بأسئلته التي يعرف إجاباتها جميعًا أن يقول لي ولهما إنني معدوم القيمة وليس لي أي أهمية في المكان، وهو ما اعتبرته إهانة بالغة لا يمكن السكوت عنها، فأخذت خطوتين تجاهه وأمسكته من يده بقوة وجذبه في اتجاه باب الشركة:

- تعالى وأنا أوريك بقعد فين.

فوجئ سلامة بما أفعله وحاول أن يخلص يده من يدي وهو يقول بقلق واستنكار:

- انت مجنون يا عم انت؟! انت بتمسكني أنا كده؟!

تشبثت بيده وحاولت جذبه من جديد في اتجاه الباب وأنا أرد
بلهجة متحدية:

- تعالى أنا هاخذك جوه أوريك أنا مين وبقعد فين، أنا بقعد في
الأوضة اللي في الوش دي، تعالى معايا وأنا هوريك، انت خايف
من ايه؟ مش هعمل لك حاجة.

فوجئت بعادل ومحمود يضحكان ويقتربان مني ويحاولان
إبعادي عنه، فلم أجد بدًا من الانصياع لرغبتهما فتركت يده وأنا
أقول بنفس اللهجة:

- انت خايف تدخل معايا الأوضة ليه؟ مش هعمل لك حاجة
جوه أنا، تعالى وأنا أوريك.

كل ما كان يدور في رأسي أن أصطحب سلامة لمكتبي وأشير له
بأن هذا هو مكان جلوسي وأني أعمل محررًا بقسم "التوك
شو" إلا أن عادل ومحمود فهما كلماتي بشكل شاذ، وهو ما
جعلهما يضحكان وهما يحاولان تهدئة الموقف حتى أقنعاني
بالدخول وممارسة عملي.

جلست أمام مكتبي وأنا أستشيط غضبًا ولا أستطيع التركيز في
العمل، وبعد نحو عشر دقائق وجدت عادل ومحمود يقفان

أمامي ويحاولان إقناعي بالاعتذار لسلامة كي لا يتصاعد الأمر
ويصل لرئيس التحرير الذي لن يقبل إهانة ذراعه الأيسر محمد
سلامة.

قلت لهما بهدوء:

- أنا ما عملتلوش حاجة عشان أعتذر.

ضحك محمود وقال:

- يا عم انت بتقول له تعالى الأوضة هوريك ومش هعمل لك
حاجة!! هتوري له ايه وحاجة ايه اللي مش هتعملها له؟! الكلام
ده لو وصل لحمدي عبدالجواد مش هيسكت.

مرت نحو خمس دقائق وهما يحاولان التلميح للمعنى الذي
سيفهم من كلامي، وإقناعي بالاعتذار. وفي النهاية تذكرت ما
قلته لمحمد عاطف: "انت بتقول كده عشان مش متجوز ولا
عندك عيال".

فوجدت أنه لا مفر من الاعتذار لمحمد سلامة حتى وإن لم أكن
أقصد ما فهمه عادل ومحمود... واعتذرت.

تمت

النافذة

كنت أشعر أنه ينظر لي دونًا عن باقي الأطفال، رغم أنه لا يعرفني ولا أعرفه، ذلك العجوز الذي يطل علينا من نافذة الطابق الأرضي لمبنى تحت الإنشاء ونحن في طريقنا إلى ومن المدرسة.

لم يكن يفارق النافذة وكأنها قطعة منه أو هو قطعة منها! رجل عجوز تجاوز الستين عامًا يرتدي قميصًا رماديًا مهترنًا وكوفية بنية اللون، وتخفي التجاعيد ملامح وجهه، لم أر له ملامح، فقط تجاعيد خشنة، ولحية كثة غير مهذبة كانت كافية لإثارة الخوف في نفس طفل في الصف الثالث الابتدائي.

كان هناك أكثر من طريق يصل البيت بالمدرسة، ولكن الطريق الذي يوجد به مبنى الرجل العجوز كان أقصرها فاضطرت في معظم الأحيان أن أسلكه محتميًا بزملائي الذين خجلت من الإفصاح لهم عن مشاعر الخوف التي تنتابني كلما رأيت الرجل، ربما لكي لا أظهر ضعفي أمامهم وأتعرض للسخرية، وربما لأنني لم أجد سببًا واحدًا لخوفي أقوله لهم، فالتزمت الصمت.

قررت في أحد أيام نهاية الأسبوع، ونحن في طريقنا إلى المنزل، أن أتحاشي النظر إلى المبنى بقدر الإمكان والإسراع في خطواتي وحث زملائي على الإسراع:

- يلا عشان ما تتأخرش.

هذا ما قلته لهم قبل خطوات من المبنى الذي يطل على ساحة فسيحة، فصاح زميلي أمجد علام باستنكار:

- تتأخر ايه؟! النهارده الخميس.

كانت إجازتنا الأسبوعية تبدأ فعليًا بعد انتهاء اليوم الدراسي يوم الخميس وتستمر حتى منتصف يوم الجمعة وربما حتى مساءه.

قلت له بتوتر:

- ما أنا أمي قالت لي ما تتأخرش وبتزعق لي.

كانت حجتي واهية ولم تقنعهم، وقبل أن أفكر في حجة جديدة أكثر إقناعًا وجدت محمد عبدالحليم، المعروف بيننا بحبه لكرة القدم، يندفع في نفس اتجاه سيرنا بعد أن لمح بعض زملائنا في المدرسة يستعدون للعب مباراة كرة في الساحة، وهو يصيح بحماس:

- أنا هلعب هجوووووم.

اندفع خلفه أمجد علام، وحسام عبداللطيف، وأحمد عزت، ووجدت نفسي أقف وحيدًا مشدوهمًا أنظر إليهم وقد أفسدوا ما كنت أخطط له، من أجل مباراة بدأت أمام منزل الرجل العجوز على الفور وكأنها كانت تنتظرهم.

وقفت للحظات أفكر فيما يجب عليّ فعله في هذا الموقف العصيب، وكدت أعود من الطريق لأسلك طريقًا آخر بعيدًا عن منزل العجوز، إلا أن أمجد علام صاح بي بصوت مرتفع:

- واقف عندك بتعمل ايه؟ يلا هنبداً.

وجدت نفسي دون تفكير أستسلم لرغبة أمجد الذي قرر، دون أن يأخذ رأيي، أن أكون ضمن الفريق في مباراة كرة قدم يطل عليها رجل عجوز كنت أحمل هم مروري من أمامه كل يوم.

جرجرت قدمي حتى وصلت إليهم وأنا أتجنب النظر في اتجاه النافذة، ووضعت حقيبتى المدرسية خلف مرمى فريقنا في أبعد نقطة ممكنة عن الرجل الذي كنت متأكدًا أنه يقف في النافذة ويحدق بي.

وعلى غير عادتي في المباريات اخترت أن ألعب في مركز حارس المرمى حتى أبقى بعيدًا متحفزًا لأي مفاجأة قد تصدر عن

الرجل العجوز الذي خُيل إليّ في هذه اللحظات أنه يخفي سكينًا
حادًا في ملابسه ويتحين الفرصة حتى ينقض عليّ بها.

بدأت المباراة وأنا أتجنب النظر في اتجاه النافذة، وأحاول التركيز
على الكرة، لا أنظر إلى النافذة ولا لأي لاعب سواء من فريقي أو
من الفريق المنافس، فقط الكرة، ويبدو أن تلك الطريقة هي ما
كانت تصنع حارس المرمى الجيد، فقد أبليت بلاءً حسنًا جعل
زملائي يشيدون بي.

وعلى الرغم من انهماكي في المباراة إلا أنني لم أستطع أن أبعد
صورة الرجل حامل السكين من تفكيري، وفي إحدى اللحظات
التي كان يتعرض فيها فريقنا لهجوم من الفريق المنافس،
أفلتت مني نظرة في اتجاه النافذة فوقعت على العجوز الذي
رأيتَه، أو ربما خُيل إليّ، أنه يتحرك حركة ترجمتها على الفور إلى
استعداده لترك النافذة والخروج للشارع.

شعرت بالدنيا تدور من حولي، وكان من الطبيعي أن تمر الكرة
من جانبي بعد أن سددها أحد لاعبي الفريق المنافس لتخترق
مرمائي.

أفقت على إحساسي بالفشل والذي فاقه إحساسي بالخوف الذي حركني على الفور فاستدرت للخلف دون وعي وركضت في اتجاه الكرة خلف المرمى وأمسكت بها وعدت بها خطوات متأنية في اتجاه الملعب، وعندما وجدت نفسي بجانب حقيقتي ألقيت بالكرة والتقطت الحقيبة من الأرض واستدرت للخلف وأطلقت ساقى للدريج حتى وصلت إلى المنزل وأنا لا أصدق أنني نجوت من سكين الرجل العجوز.

وصلت إلى المنزل وأنا ألهث ولا أفكر في زملائي الذين تركتهم بشكل مفاجئ، ولم أستطع المذاكرة أو النوم في هذا اليوم وأنا أفكر فيما سيحدث غدًا.

ذهبت إلى المدرسة في اليوم التالي متأخرًا عن موعد طابور الصباح بعدما سلكت طريقًا آخر بمفردي بعيدًا عن الرجل العجوز، وبمجرد أن دخلت الفصل أخذت جولة بنظري باحثًا عن زملائي الذين تركتهم بالأمس، فوجدتهم جالسين في أماكنهم ينظرون إليّ نظرات تساؤل حاولت تجنبها، وتهربت من استجوابهم بين الحصص حتى جاءت الفسحة بعد الحصّة الثالثة فحاصروني بأسئلتهم فقلت لهم:

- ما أنا قلت لكوا أمي قالت لي ما تتأخرش، وبعدين احنا
ماكناش متفقين اننا هنلعب الماتش ده.

رد عليّ أمجد باستنكار:

- واحنا من امتي بنتفق؟!!

قلت له بارتباك:

- الحتة اللي لعبنا فيها دي أصلا وحشة وأنا ماكنتش مستريح
وأنا بلعب.

لم يقتنعوا بكلامي ولم يكن أمامهم ما يفعلوه بعدما أكدت
لهم أنني لن أعب في هذا المكان مرة أخرى ولن أسلك هذا
الطريق أصلاً حتى لو أصروا جميعاً عليه.

مرت الأيام التالية ثقيلة عليّ وأنا أسلك طريقًا آخر وحيدًا في
الذهاب والعودة من المدرسة بعدما تجاهلني زملائي وأصروا
على طريق الرجل العجوز.

وبعد مرور بضعة أيام اعتدت على الطريق الجديد، وأصبحت
علاقتي بزملائي مقتصرة على المدرسة فقط، أقابلهم عندما
نذهب إلى المدرسة وبمجرد خروجنا نفترق، هم إلى طريقهم

المعتاد وأنا إلى طريقي الجديد، حتى انتهى العام الدراسي وفاجأني أبي بالانتقال إلى حي آخر بعيد، وبالتالي تحويل أوراقى إلى مدرسة أخرى.

استقبلت الخبر بسعادة بالغة ليس فقط بسبب أن الحي الجديد أفضل، ولكنني وجدت انتقالنا إليه وتغيير المدرسة هو أفضل حل لمشكلة الرجل العجوز.

ومرت عليّ السنوات بنجاحاتها وإخفاقاتها ونسيت قصة الرجل العجوز.

كان من الصعب عليّ بعد تخرجى من الجامعة أن أشتري شقة في نفس الحي الجديد لكي أتزوج بها، ولم أجد أمامى سوى العودة للحي القديم الذي كانت علاقتى به انقطعت تمامًا.

اشتريت شقة صغيرة بمساعدة والدى وتزوجت بعد تخرجى في الجامعة ببضع سنوات، وما هو إلا عام واحد حتى أصبحت أبا.

مرت أربع سنوات سريعة حتى أصبحت قادرًا على اصطحاب ابني إلى الخارج بمفردنا وبعد أن توقف عن مطالبته لي بحمله كلما خرجنا من المنزل.

قررت في أحد الأيام أن أصرح لابني إلى أحد محلات الملابس المعروفة والذي كان يقع بالقرب من مدرستي الابتدائية القديمة، ودون أن أشعر سلكت معه نفس الطريق القديم الذي كنت أخاف من المرور به، وعندما اقتربت من الساحة التي لعبنا بها مباراة كرة القدم الأخيرة لي مع أصدقائي، نظرت إلى المنزل الذي كان تحت الإنشاء وقد تحول إلى عمارة شاهقة معالمها مختلفة تمامًا عما كنت أراه في الماضي.

توقفت أمام العمارة وأنا أنظر إلى الدور الأرضي مشدوّهًا،
فسألني ابني:

- مالك يا بابا؟

حملته وربّبت على صدره واحتضنته وقلت له:

- ما تخافش.. أوعى تخاف.

تمت

الباشكاتب

اعتاد علي السباعي-الموظف بقصر الثقافة، والسيناريست غير المعروف- أن يجلس أمام مكتب متواضع في مدخل القصر وكأنه تمثال لا يتحرك من مكانه، فبمجرد أن ندخل من البوابة الحديدية لقصر الثقافة ونحرف لليسار ونصعد درجات السلم القليلة لندخل مبنى القصر من الباب الخشبي، نرى الأستاذ علي يجلس مرتدياً ملابس متواضعة غير مهندمة كعادته؛ ليذكرنا بوظيفة "الباشكاتب" كما قدمتها أفلام السينما الكلاسيكية.

تخرج علي السباعي قبل نحو ثلاثين عامًا من معهد السينما، قسم السيناريو، إلا أن رصيده الفني كان فيلمًا واحدًا اقتبس أحداثه من فيلم أمريكي، وقام ببطولته ممثل من نجوم الصف الثاني وحقق نجاحًا طفيفًا.

فقد كرث علي حياته للوظيفة الحكومية حتى ترقى إلى منصب نائب مدير القصر قبل أن يتم سحب المنصب منه ليعود خطوة للخلف، ربما بسبب هيئته المتواضعة أو بسبب شخصيته التي لم تكن تؤهله سوى لوظيفة الباشكاتب تلك.

بدأت معرفتي بعلي عندما كنت أدرس - دراسات حرة -
بالقصر وكان هو أحد المدرسين الذين لم تتعلم منهم الكثير.

ألقي علينا أستاذ علي محاضرتين فقط معتمداً على بعض
الأوراق المكتوبة التي كان يدخل المحاضرة بها ويقرأ منها دون
أن يسمح لأحد بمقاطعته، ربما لكي لا يرتبك ويفقد تركيزه.

- طب ما يدينا الورق ده نصوره ونقراه في البيت وخلص.

قالها زميلي أمير، بعد المحاضرة الأولى لنا مع علي السباعي،
وهو يضحك ساخراً من الطريقة التي يتبعها علي في شرح مادة
السيناريو، فقلت له:

- هو تقريباً ما قالش حاجة جديدة أصلاً.. نفس الكلام ده اتشرح
لنا قبل كده.

- مش عارف علي ده عرف يعمل فيلم ازاي!

- وأنا مش عارف ازاي متخرج من معهد السينما وما عملش
غير فيلم واحد ومكتفي بالوظيفة الحكومية دي!

- ده كويس إنه عرف يعمل فيلم.. علي ده ما ينفعش غير
موظف يمضي حضور وانصراف.

شعرت أن أمير يتحامل عليه، فقلت له:

- حرام عليك ده راجل غلبان.

- ما أنا عشان كده بقول لك ما ينفعش غير موظف.

كان أهم ما يميز علي هو خوفه الدائم من الآخرين وعدم الوثوق بهم، وهو الأمر الذي ورطه، قبل نحو شهرين، في مشاحنة مع مدير قصر الثقافة الذي انفعل عليه وأشهر طبنجته المرخصة في وجهه وهدده بالقتل، بسبب بعض أوراق العمل التي رفض علي أن يعطيها له إلا بعد أن يتخذا جميع الإجراءات القانونية التي تضمن عدم تورطه في قضية اختلاس أو تبديد عهدة، في حين أراد الفنان المشهور - مدير القصر - أن ينهي الأمر سريعًا لكي لا يتعطل العمل، على أن يتخذا الإجراءات القانونية في وقت لاحق.

طلب مدير القصر الأوراق من علي أكثر من مرة، وفي كل مرة كان علي يتعلل بحجة جديدة، وجميع حججه غير مقنعة، ففاض الكيل بمدير القصر وأشهر السلاح الناري في وجهه بعد مشادة كلامية بينهما وقبل أن يعفيه من منصب نائب المدير

ويعيده كما كان، مجرد موظف من ضمن عدة موظفين
مستولين عن نشاط الدراسات الحرة بالقصر.

- وحضرتك هتعمل أفلام تاني؟

سألت علي السباعي هذا السؤال، بعد ثاني محاضرة لنا معه،
ربما لكي أشجعه على الكتابة والبحث عن فرصة أخرى. فقال
لي بحماس:

- أه، ده أنا شغال في فيلم دلوقت، قربت أخلصه.

قلت له بنفس الحماس:

- والله! طب كويس، وبتعرف تلاقي منتج بسهولة؟

- أه، هروح للسبكي.

- هو فيلم كوميدي؟

- أه كوميدي.

فكرت قليلاً وقلت له بتردد:

- بس أنا سمعت إن السُّبكي بيشتترط موافقة نجم معروف ع السيناريو عشان يرضى ينتجه.

قال لي وهو يحاول أن يبدو واثقًا من نفسه:

- وماله! هجيب له نجم.

لم أقتنع أن علي السباعي يستطيع أن يقنع نجمًا - حتى وإن كان قد قدم فيلمًا من قبل - أن يقوم ببطولة فيلم من تأليفه، حتى وإن كانت الظروف تتيح له - بحكم عمله في قصر الثقافة - أن يلتقي ببعض الفنانين الذين يحرص مدير القصر على دعوتهم إليه كنوع من الدعاية.

وعلى الرغم من عدم اقتناعي بمقدرة أستاذ علي على التفاوض مع أي نجم وإقناعه بالموافقة على فيلم من تأليفه، إلا أنني تمنيت - أمنية حقيقية - أن ينجح في تقديم أفلامًا أخرى وتحقيق النجاح الذي قد يُكسبه ثقة في نفسه ويغير حياته للأفضل.

قلت له:

- ربنا يوفقك إن شاء الله ونشوف الفيلم قريب.

وانتهت فترة دراستي في قصر الثقافة وكنت مطالبًا في نهاية الكورس بكتابة سيناريو فيلم قصير - كمشروع تخرج - سيخضع للتقييم من أستاذ علي السباعي فتفاءلت خيرًا، ولكنه صدمني بإعطائي درجة ضعيفة، وبتعنته الواضح في رفضه لأن أقوم بتعديلات على السيناريو حتى أحصل على درجة أعلى، أو حتى أكتب سيناريو آخر بدلًا من الذي قدمته، ومع ذلك حاولت ألا أكرهه، وأعتقد أنني نجحت.

قبلت بالدرجة الضعيفة وأخذت الشهادة التي أكد لي بعض الزملاء في القصر أنها لن تفيدني بشيء لأن النجاح في مهنة كاتب السيناريو لا يحتاج إلى شهادة بقدر ما يحتاج إلى شبكة علاقات قوية.

ولم تنقطع علاقتي بقصر الثقافة الذي كنت أراه مكانًا مناسبًا لقضاء بعض الوقت وأنا أبحث عن فرصة لدخول عالم الشهرة. فكنت أذهب إلى قصر الثقافة بشكل شبه أسبوعي لأشاهد فيلمًا من الأفلام التي تُعرض هناك، وأحاول أن أتعرف ببعض الأشخاص الذين لهم نفس اهتماماتي.

وفي كل مرة أذهب إلى القصر كنت أرى علي السباعي في نفس مكانه وأسلم عليه وأتجنب سؤاله عن الفيلم الذي قال إنه سيقدمه للسبكي بعد أن يحصل على موافقة نجم معروف.

كنت قد لاحظت ارتبائه بعدما سألته أكثر من مرة - في وقت سابق - عما إذا كان هناك جديد بشأن الفيلم، ففضّلت ألا أتحدث مرة أخرى في هذا الأمر على أمل أن يفاجئني ذات يوم بخبر عن اقتراب عرض فيلمه الجديد في دور العرض.

ومر نحو عام وأنا أنتظر المفاجأة، وعندما لم تحدث طاردتني فكرة شديدة السواد، وهي أنني قد أصل لمثل عُمر أستاذ علي ولا أحقق أي شيء من طموحي الفني سوى فيلمًا واحدًا وربما يكون رصيدي السينمائي (صفرًا) لأكون نسخة باهتة من علي السباعي الذي كان مثار سخرية بعض زملائي، وزملائه أيضًا.

أصبح علي السباعي بالنسبة لي أكثر من مجرد موظف وسيناريست أتعاطف معه، فقد أصبحت أرى نجاحه هدفًا شخصيًا لي؛ لدرجة أنني كنت أجلس مع الفنان المشهور مدير قصر الثقافة في مرة من المرات القلائل التي أتاحت لي، وطلبت

منه أن يساعد أستاذ علي في الحصول على موافقة نجم مشهور على سيناريو فيلمه ليستطيع أن يصل إلى السُّبكي.

- أنا سمعت إن أستاذ علي يكتب فيلم كوميدي وقرب يخلصه.

- علي مين؟

- أستاذ علي السباعي.

ضحك مدير قصر الثقافة بسخرية قبل أن يقول:

- هو علي بيعرف يكتب؟!

استجمعت شجاعتي وقلت له:

- أه، ده عمل فيلم قبل كده.

- ما هو سقط، وبعدين ده فيلم مسروق، علي مالوش في الكتابة، علي موظف، وموظف فاشل كمان.

اعتبرت سخرية مدير القصر من علي طعنة لي أنا شخصيًا في أحلامي التي أصبح علي - دون أن يشعر - جزءًا منها.

وأصبحت رؤيتي لعلي السباعي وهو جالس في مكانه بالقصر تؤلمني أكثر من جلوسي وحيدًا وأنا أفكر في طريقة أستطيع بها أن أجد منتجًا لفيلمي الأول الذي قاربت على الانتهاء من كتابته؛ وهو ما جعلني أمتنع عن الذهاب لقصر الثقافة لبضعة أشهر، قبل أن أقرر الذهاب في أحد الأيام على أمل أن أجد مفاجأة سعيدة من أستاذ علي.

ذهبت إلى القصر ودخلت بخطوات مترددة وفوجئت بمجرد دخولي من الباب الخشبي بأن علي السباعي غير جالس في مكانه فخمنت أنه نجح في بيع سيناريو فيلمه للسبكي وحصل على مبلغ محترم وترك وظيفته في القصر بعد أن قرر التفرغ لكتابة السيناريو لتعويض السنوات التي ضاعت من عمره في الوظيفة الحكومية.

وقفت في مكاني قليلاً وأنا أنظر إلى مكتبه الفارغ بسعادة، وكادت عيناى تذرفان دموع الفرح وأنا أشاهد أحلامي تتحقق.

قطعت عليّ أفكارى مدام سميحة- الموظفة بالقصر- التي ما إن رأتهى أقف أمام مكتب أستاذ علي حتى جاءت وسلمت عليّ:

- ازيك عامل ايه؟

- الحمد لله، كويس جدًّا.. هو أستاذ علي فين؟

نظرت إلى مكتبه والتفتت لي وقالت بلامبالاة:

- أستاذ علي مات.

تمت

الفأر

كنا قد قررنا، قبل نحو أسبوع، أن نتعايش مع ذلك الفأر الذي دخل شقتنا دون استئذان، واتخذ من سخان المياه، الذي يعمل بالغاز، مسكنًا له.

لم نر ذلك الفأر اللعين ولكننا سمعنا صوته بوضوح أكثر من مرة وهو يتحرك بداخل السخان المُعلق بالمطبخ والذي حاولنا طرده منه - في بداية تشريفه لنا - عن طريق إشعال السخان، ولكن يبدو أنه كان فأرًا متمرسًا يعرف جيدًا أنه في مأمن من النيران، فلم يتزحزح من مكانه، فاستسلمنا وقبلناه ضيفًا ثقيلًا معنا في الشقة طالما لا يغادر غرفته التي اختارها لنفسه دون أن يطلب رأي أحدنا.

ولكن يبدو أن الفأر شعر بالملل من البقاء في مخبأه فقرر أن يخوض مغامرة أنا بطلها الثاني. فقد فوجئت مساء ذلك اليوم وأنا في الشقة بمفردي، وبمجرد دخولي إلى الحمام، بشيء يتحرك بسرعة خاطفة، فعدت خطوة إلى الخلف لأخرج من الحمام سريعًا وأغلقت الباب على الفور وفكرت للحظات قليلة وأدركت أن الفأر قرر أن يأخذ جولة حرة في الشقة بدأها بالحمام.

أسرعت إلى الهاتف وأنا أشعر بالخوف الشديد وأمسكت سماعته و... وتوقفت فجأة وأنا مندهش مما أفعله، وسألت نفسي:

- ايه ده؟ هو أنا هتصل بمين؟

شعرت بالحرج وتركت سماعة الهاتف وتوجهت إلى الحمام وتأكدت أن بابه مغلق بإحكام وعدت وجلست بجانب الهاتف وفكرت في الاتصال بأحد أصدقائي لأسأله عما يمكن أن أفعله في هذا الموقف، ولكنني تراجعته عندما سمعت صوت جرس باب الشقة، فأسرعت لأفتح ووجدت أبي وأمي قد عادا من الخارج، فتنفست الصعداء وشعرت ببعض الطمأنينة ولكن أمي لاحظت ارتباكي وسألتني:

- في إيه؟

- في فار في الحمام.

ردت علي بقلق:

- فار؟ وجه منين؟

- امممم.. أكيد الفار اللي كان في السخان.

تدخل أبي بهدوء وقال لي:

- وماعرفتش تموته؟

نظرت له بدهشة وقلت بشيء من الخجل:

- لأ.

نظر لي بسخرية واتجه إلى المطبخ والتقط عصا المكنسة اليدوية المكسورة وفتح باب الحمام بهدوء وأغلقه من خلفه وأنا أتابعه بترقب؛ وبعد أقل من دقيقة اقتربت بضع خطوات من الحمام وأنا أشعر بالقلق وحاولت أن أنصت السمع.

مرت ثلاث دقائق وأنا لا أسمع إلا بعض الضربات الهادئة بالعصا قبل أن تتسارع الضربات ويعلو صوتها الذي ما إن انتهى حتى سمعت صوت باب الحمام وهو يُفتح؛ لأرى أبي وهو يخرج وقد أعلن انتصاره على الفأر في معركة تخيلتها طاحنة ولم يتخيلها أبي أصلاً.

نظرت إلى أبي وهو يتجه إلى المطبخ بنفس الهدوء ومعه العصا ويعود بها إلى الحمام مرة أخرى وفي يده الأخرى كيسًا بلاستيكيًا

وضع فيه الفأر وأغلقه بإحكام ووضعه في سلة المهملات بالمطبخ.

دخلت غرفتي وأغلقت بابها من خلفي، واستلقيت في سريري وحمدت الله أن رغبتني في دخول الحمام لم تكن مُلحة.

استيقظت في الصباح وتوجهت إلى الحمام وبمجرد دخولي من الباب عُدت خطوة إلى الخلف مسرعًا وأغلقت الباب ووقفت للحظات أحاول فهم سبب ما فعلته حتى تذكرت ليلة أمس وما حدث بسبب ذلك الفأر الذي لا تجوز عليه الرحمة.

وقفت لحظات أمام باب الحمام وأنا أمسك مقبضه بقوة، وأخذت نفسًا عميقًا، وفتحت الباب ودخلت بهدوء وأنا أشعر بالقلق.

أخذت نظرات متفحصة لمختلف جوانب الحمام لأتأكد من أن الفأر غير موجود، وأغلقت الباب وفعلت ما يجب علي فعله قبل أن أخرج من الحمام مسرعًا بعدما فشلت في السيطرة على حالة القلق التي انتابتني.

مرت بضعة أيام لم تنقطع علاقتي خلالها بعالم الفئران، وأنا الذي اعتدت على سماع أصواتها المزعجة وهي تعبث في "منور" الشقة وتتخذ من المكيف استراحة لها.

ورغم أن تلك الأصوات كانت تضايقني إلا أنني كنت قد تعودت عليها وتقبلت وجودها في حياتي مثلما كنت تقبلت وجود الفأر في السخان، ولكن الأصوات بدأت تعلو خلال اليومين الماضيين وكأنها تحيي الذكرى الأسبوعية للفأر الذي قُتل في الحمام.

ويبدو أن أمي كانت منزعجة من أصوات الفئران بنفس قدر انزعاجي، فقررت أن تضع لهم بعض حبات الطماطم المحشوة بالسم لكي تتخلص منهم؛ وهي الفكرة التي وجدتها لا تقل عظمة عن فكرة اختراع "السيفون" أو مكيف الهواء.

أحضرت أمي السم والطماطم وقامت بتحضير تركيبة الموت، وفتحت نافذة الغرفة المطلة على "المنور" ووضعت الطماطم فوق مكيف الهواء وأسرعت لتغلق النافذة التي لم تكن فتحتها منذ أشهر، ولكن أحد الفئران كان مختبئاً خلف المكيف واندفع في حركة عشوائية عندما شعر بحركتها فأغلقت النافذة على

إحدى قدميه فأخذ يصرخ بصوت أكثر إزعاجًا، ولكنها تجاهلته رغم أن صراخه لم يتوقف.

أقل من دقيقتين وفهمت سبب صراخ الفأر فتحول صوته المزعج إلى لحن موسيقي مفرح شعرت أنه ينقصه طبلة و"صاجات" مع بعض الآلات المبهجة ليشجعني على الرقص.

استيقظ أبي من نومه على صوت صرخات الفأر وعندما فهم ما يحدث قال لأمي لائماً:

- بس حرام كده.

ردت أُمي بلامبالاة:

- حُرمت عليه عيشته.. حد قال له يبجي هنا؟!

وانتهت المشاجرة قبل أن تبدأ، ولم ينته صراخ الفأر، فعاد أبي إلى أُمي مستنكراً:

- يعني هنفضل في الدوشة دي؟

- أعمل له ايه يعني؟

- افتحي الشباك وسيبيه يجري.

- لو فتحت ممكن ينط جوه الشقة.

لم يرد أبي واتجه إلى النافذة، وفتحها بهدوء فابتعد الفأر وتوقفت صرخاته وأغلق أبي النافذة وقال لأمي:

- ما ينفعش نعذبه كده.. حرام.

ردت أمي بغیظ:

- طيب أهو غار في داهية.

"غار الفأر في داهية" وأخذ معه إحساسي بالسعادة الذي لم يكن أقل كثيرًا من إحساس الخوف الذي سببه لي الفأر الذي قتله أبي في الحمام.

تمت

عمو مجدي

"الراجل مات وهو زعلان منك!"..

قالها لي صديقي، أحمد شكري، ونحن في طريق عودتنا - أنا وهو واثنين من الأصدقاء - من منزل زميلنا عمرو مجدي الذي انتهينا للتو من تقديم واجب العزاء له في وفاة والده الذي مات بشكل مفاجئ.

كنا قد فوجئنا في صباح هذا اليوم، ونحن في فصل 2/3 بمدركتنا الثانوية، بزيارة والد عمرو الذي كنا نناديه بـ (عمو مجدي)، ويا ليتة ما زارنا. فقد جاء بدون أي مقدمات أو أسباب واضحة ليسأل عن مستوى ابنه الدراسي، فسمع إجابات، من أكثر من مدرس، عن تدني مستواه الأخلاقي بسبب ملازمته لمحمد حسين الذي يجلس بجانبه في الصف الأخير بالفصل ولا يتوقف عن الترتة والمزاح معه في الحصص، كما أنهما اعتادا على الهروب معًا من المدرسة، غالبًا بعد الحصة الرابعة وأحيانًا قبلها.

لم نشاهد عمو مجدي عندما جاء إلى المدرسة ولكننا عرفنا كل ما حدث وكل ما قيل له عن ابنه وعني قبل أن يخرج من المدرسة وسحابة من الحزن تظلل وجهه، ويتوجه - بدون أن

يشعر - إلى منطقة العباسية، بدلاً من الذهاب إلى منزله، ليسقط في أحد شوارعها ويلفظ أنفاسه الأخيرة وهو "زعلان مني" لأنني أفسدت أخلاق ابنه رغم أن ابنه هو من كان دائم التحريض لي على الهروب من المدرسة.

علاقتنا بعمو مجدي كانت مختلفة عن علاقتنا جميعًا بآباء بعضنا البعض، فقد كان يلعب معنا الكرة كل أسبوع، وبالتحديد يوم الخميس بعد عودتنا من المدرسة، كما أنه كان يذهب معنا لأداء صلاة الجمعة التي لم يكن يصلي غيرها.

بالطبع كان وجود عمو مجدي معنا - سواء في ملعب الكرة أو في صلاة الجمعة - مقيّدًا لنا، فكنا نحاول أن نظهر أمامه على غير حقيقتنا، ففي وجوده نتجنب معاكسة الفتيات في الطريق ونمسك ألسنتنا لكي لا نشتم أو نتلفظ بأي ألفاظ خارجة، مع أنه هو نفسه كان يشتم أحيانًا، وخصوصًا ونحن نلعب كرة القدم التي كان يرى نفسه مميّزًا فيها - على غير الحقيقة-.

كان يعتقد عمو مجدي أنه بلعبه معنا ومرافقتنا في بعض الأماكن يجعلنا نحبه ونرتبط به ونحترمه ونبتعد عن ارتكاب أي أفعال مشينة، إلا أن الأمر جاء بنتيجة عكسية، فقد كنا نتعمد

ارتكاب الأخطاء في وجوده ودون أن يلاحظ، وننظر له نظرة استهزاء، خصوصًا عندما يتناقش معنا في أي موضوع ويحاول أن يبدو أماننا وكأنه يعرف كل شيء في الحياة.

ولم تكن نظرتنا لعمرو أفضل كثيرًا من نظرتنا لوالده الذي اعتاد أن يدلله لدرجة جعلته يعتقد أنه أفضل منا جميعًا في كل شيء. وربما لو كان عمو مجدي بعيدًا عنا لكننا اعتبرنا عمرو صديقًا حقيقيًا رغم عيوبه الكثيرة.

ومات عمو مجدي ولم نحزن لفراقه وإن كنا تعاطفنا مع عمرو الذي أصبح يتيم الأب.

كانت مشاعرنا جميعًا محايدة، حتى وإن تظاهر صديقنا المنافق حسام غريب بالحزن عليه، وحتى لو قال لي أحمد شكري:

- الراجل مات وهو زعلان منك.

نظرت له بدهشة وقلت:

- يعني إيه؟

- ما هو لما جه المدرسة كل المدرسين قالوا له ان انت اللي
مبوظ ابنه، فمات وهو زعلان منك.

قلت له بدهشة واستنكار:

- أنا اللي قتلته يعني؟!

- لأ مش قصدي.

- أومال قصدك ايه؟ قصدك انه مات من الزعل بسببي؟

- يا عم لأ مش كده.. بس مات وهو زعلان منك.. يعني زي ما
يكون مات وهو مخاصمك.

قلت له بدهشة حقيقية:

- طب وايه يعني؟

ابتسم رَغْمًا عنه وقال:

- عادي بالنسبة لك يعني؟!

- أيوه، ايه المشكلة؟

- مش عارف أفهمها لك إزاي!

أردت أن أنهي المناقشة التي عجزت عن فهمها فقلت له بحزم:
- مافيش حاجة تتفهم، الراجل نصيبه كده، والكلام اللي سمعه
في المدرسة مش حقيقي، ما انت عارف، عمرو مجدي ماكنش
ملاك قبل ما يقعد جنبى وتتصاحب أنا وهو، ولما كنا بنزوغ من
المدرسة كنا بنزوغ عشان هو ماكنش بيطبق يقعد في أمها،
ومن قبل ما يقعد جنبى في الفصل كان مقضى الحصص هزار
وضحك.

- يا عم أنا مش قصدي حاجة وربنا، بس الراجل اللي مات
النهارده ده مات وهو زعلان منك.

بدأت أشعر بالتوتر من كثرة تكراره لهذه العبارة فقلت له
بعصبية:

- هو عمك مجدي ده كان من أولياء الله الصالحين؟

ضحك ولم يرد عليّ، فتابعت:

- رد عليا بجد، هو كان من أولياء الله الصالحين؟

- أكيد لأ.

- يبقى غار في ستين داهية وخلص والموضوع انتهى.

التزم أحمد شكري الصمت وليته ما فعل. فقد أكملنا طريقنا
ونحن صامتين جميعًا، وهو ما منحني فرصة للتفكير في معنى
أن يرحل الرجل عن عالمنا وهو "زعلان مني"... ولم أفهم شيئًا..
فشعرت بالخوف.

تمت

للتواصل مع الكاتب

mohamedsharif1987000@gmail.com

المحتويات

1.....	الطريق
13.....	استرونج اندبندنت
30	اترفيو
44	الحادثة
53	كومبارس
68.....	سلامة بخير
84	النافذة
93	الباشكاتب
104	الفأر
112	عمو مجدي

أعمال أخرى للكاتب

العصفور (مجموعة قصصية)

بنات عائلات محترمات (مجموعة قصصية)

بتوع الأفلام (مقالات)

"أي تشابه بين شخصيات وأحداث هذه الأعمال وأية شخصيات
وأحداث على أرض الواقع هو مجرد صدفة غير مقصودة"

محمد شريف